مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية المجلد 13 العدد 2 جويلية 2022م ذو الحجة 1443هـ
ص ص: 11 – 54

أقوال وآراء الإمام أحمد بن نصر الداودي (ت: 402هـ) // (1011م) في تفسير القرآن الكريم ــ جمعا ودراسة من (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لعبد الرحمن للثعالبي –

Al Daudi's words and opinions (402/1011) in the interpretation of the Qur'an through the book of "Tafsir Jawaher Al Hissan Fi Tafsir Al Quran" for Al-Tha'alibi

أ.د عبد الرزاق دحمون*
جامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية بالخروبة، مخبر الشريعة (الجزائر)
a.dahmoun@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام:2022/02/15 تاريخ النشر: 2022/07/15

ملخص:

يعتبر أبو جعفر الإمام أحمد بن نصر الداودي من المفسرين الكبار في بلد الجزائر، وله مساهمات فعالة في خدمة علوم الدين، خاصة في التفسير وشرح سنة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد ساهم الإمام الجليل عبد الرحمن الثعالبي من خلال عمله الموسوم ب: "تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن" في حفظ بعض أقوال وآراء الداودي – رغم قلتها، فلولاه لما عرفنا شيئا عنه.

فالبحث عبارة عن جمع ودراسة لأقوال وآراء الداودي من خلال كتاب "تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن" للثعالبي، اتبعنا فيه المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع تفاصيل حياة الداودي والوقوف على أهم المحطات التاريخية التي عاشها، والمنهج الوصفي التحليلي من خلال جمع أقواله وآرائه وترتيبها وتصنيفها ومحاولة تحليلها بغرض الوقوف على جهده.

وتم معالجة موضوع البحث من خلال مبحثين، خصص الأول للتعريف بالإمام، والثاني لبيان أقواله في تفسير القرآن الكريم وبسط آرائه التفسيرية من خلال كلامه المنقول عن الإمام الجليل الثعالبي.

* المؤلف المرسل

ومن أهم النتائج المتوصل إليها أن أقوال وآراء الإمام الداودي في تفسير القرآن الكريم، أظهرت أنه كان على منهج صحيح وأنه اعتمد على قواعد التفسير وأصوله.

الكلمات المفتاحية: أقوال الإمام الداودي، عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تفسير.

Abstract:

Abu Ja'far Al-Imam Ahmad ibn Nasr Al Daudi is one of the great mufassirin (interpreters) in Algeria, in which he has effective contributions in the service of religion's sciences, particularly in Tafsir (interpretation) and the explanation of the Sunnah of prophet Muhammad, All Prayers and Blessings of Allah be upon him.

Al-Imam Al-Jalil Abdul-Rahman Al-Tha'alibi also contributed in memorising some words and opinions of Al Daudi, although limited, through his book entitled: "Tafsir Jawaher Al Hasan Fi Tafsir Al Quran Tafsir".

So, the research is a collection and a study of Al Daudi's words and opinions through the book of "Tafsir Jawaher Al Hasan Fi Tafsir Al Quran" for Al-Tha'alibi, in which the research is based on the descriptive approach through tracking the details of Al Daudi's life and examining the most historical stage that he lived, and the analytical approach through collecting his words and opinions, ranking them, categorising them and trying to analyse them with a view to identifying his efforts.

The topic of the research was addressed through two sections: the first one is about the definition of Al-Imam, while the second one is to demonstrate his words in Tafsir of Holy Quran and to extend his interpretative opinions through his quoted words from Al-Imam Al-Jalil Al-Tha'alibi.

Among the most significant findings are that the Daudi's words and opinions in Tafsir of Holy Quran, showed that he was on the right method and that relied on the rules of Tafsir and its fundamentals.

Keywords: Daudi's words, Abdul-Rahman Al-Tha'alibi, Jawaher Al Hasan Fi Tafsir Al Quran, Tafsir.

مقدِّمة:

يعتبر أبو جعفر الإمام أحمد بن نصر الداودي من المفسِّرين الكبار الذين أنجتهم بلادنا الجزائر، وكان من فضل الله علينا أنْ حَفِظَ لَنَا بعضُ العلماء أقوالَهم في تفاسيرهم، مثلَما فعلَ إمامنا الجليل عبد الرحمن الثعالبي في (تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، فقد ساهم في حفظِ بعضِ أقوالِ وآراءِ الداودي، وإن كانت في حقيقتها قليلةٌ جدًّا، ولَوْلَا ذلك لَمَا عَرَفْنَا شيئًا عنه في هذه الناحية، ذلك أنَّ تفسير الداودي المنسوب إليه مفقود، بل هو في حكم المندثر، إلَّا إذَا وُجِدَتْ منه نسخةٌ في إحدى الزوايا في بلدان المسلمين هنا أو هناك.

وكان للإمام الداودي مساهماتٌ فعَّالةٌ في خدمة علوم الدين، خاصة منها تفسير كلام تعالى، وشرح سُنَّة النَّبيِّ ـ صلى الله عليه وسلم، وتبسيط أحكام الفقه الإسلامي للناس، فضلًا عمَّا تَرَكَهُ لَنَا من مصنَّفاتٍ قيِّمةٍ في هذا الشأن.

أوَّلًا ــ عنوان موضوع البحث:

وإدراكا مِنِّي بِأهمِّيَّة عنوان البحث وموضوعه المتعلِّق بكلام الله تعالى، استقرَّ رأيي على تسمِيَّتِه بـ: **(أقوال وآراء الإمام أحمد بن نصر الداودي (ت: 402 هـ) // (1011م) في تفسير القرآن الكريم ــ جمعا ودراسة من كتاب (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) للثعالبي ــ).**

ثانيًا ــ الأسباب الذاتية والموضوعية لاختيار موضوع البحث:

الذي دفعني لكتابة موضوع هذا البحث، أسباب موضوعية وذاتية على حدٍّ سواء.

1 ــ أمَّا الأسباب الموضوعية، فمنها:

أ ــ ورقة صدرت عن فرقة البحث المختصَّة في البحث عن جهود علماء الجزائر في التفسير والسنة النبيوية التابعة لمخبر الشريعة، بكليتنا للعلوم الإسلامية بالخروبة، التابعة لجامعة الجزائر ـ 1 ـ بن يوسف بن خدة، تطلب فيه من الأستاذة الكرام وطلبة الدكتوراه الكتابة في أوراقٍ بَحْثِيَّةٍ عن جهود علماء الجزائر في التفسير والسنة النبوية.

ب ــ أنَّ الإمام أحمد بن نصر الداودي شخصيةٌ فذَّة في تاريخنا العربي والإسلامي المجيد، خاصَّة وأنَّه عالِمٌ مُفَسِّرٌ جزائري، جليل القدر، كبير الشأن، وهو ما حفَّزَني ذلك للكتابة عنه.

2 ــ وأمَّا الأسباب الذاتية، فعلى رأسها:

أ ــ مَيْلِي إلى الكتابة عن علماء الجزائر، بشكلٍ كبيرٍ، لِمَا لَهُمْ مِن فضلٍ علينا، وعلى بَلَدِنَا الجزائر، فواجبُ الشُّكْرِ يقتضي مِنِّي الإعلاءَ من شأنهم، والتعريف بهم، داخليًّا وخارجيًّا.

ب ــ طبيعةُ عنوانِ البحثِ، المتعلِّقةِ بِعلمِ التفسير، وهو من العلوم التي اعْتَنَيْتُ بها سِنِينَ طويلة من عمري، حُبًّا في خدمةِ كتاب الله تعالى، لَعَلِّي أكون من أهْلِه يوم القيامة، بِكَرَمِه وجُودِه وإحسَانِه وفَضْلِه سبحانه وتعالى.

ثالثا ــ المنهج المعتمد في كتابة موضوع البحث:

سَلَكْتُ في كتابة بحثي منهجًا علمِيًّا أكاديميًّا، حيث اعتمدتُ فيه على منهجين معروفين، هما: (المنهج الوصفي التاريخي)، و(المنهج التحليلي).

أمَّا **المنهج الوصفي التاريخي،** فَيَظْهَرُ من خلال تتبُّعِي لِتفاصيل حياة الإمام أبي جعفر الداودي منذ ولادته إلى وفاته، وهو ما يعني الرجوع إلى كتب التراجم والسير، للوقوف على أهمّ المحطَّات التاريخية في حياة الإمام.

وأمَّا **المنهج التحليلي،** فهو يظهر من خلال جمعي لأقواله وآرائه في التفسير، اعتمادًا على تفسير الثعالبي المسمى بـ: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، وترتيبها، وتصنيفها، ومحاولة تحليلها تحليلًا علميًّا، بغرض الوقوف على جُهْدِ الإمام الداودي المبذول في هذا الشأن، باعتبار أنَّ تفسيره مفقودٌ، بل في حُكْمِ المندَثِر، وهذا ما يساعدنا على استلهام نبذةٍ ــ ولَوْ يسيرةٍ موجزةٍ ــ مِن خِدْمَتِه لِكتابِ الله تعالى، والكَشْف عن الدَّوْرِ الفعَّال والإيجابي لعلمائنا بالجزائر عبر العصور، وإلى يومنا هذا.

رابعًا ــ إشكالية موضوع البحث:

يرتكز موضوع البحث على إشكالية مهِمَّة، مَفَادُهَا: هل ساهم الداودي فعلًا في خدمة كتاب الله تعالى (القرآن الكريم)، أم لا؟. وتَتَفَرَّعُ عنها تساؤلاتٍ مُهِمَّةٍ، منها:

ــ كيف يمكن الوقوف على أقواله وآرائه في هذا الشأن؟.

ــ وهل أصاب ــ رحمه الله ــ فيما صَدَرَ عنه من أقوالٍ وآراءٍ في التفسير؟، أم كان بعيدًا عن هذا المجال العلمي؟.

وكيف يمكننا معرفة صحَّة ما ذَكَرَه وقَرَّرَه في ذلك؟.

هذا ما ستجيب عنه هذه الدراسة الأكاديمية بحول الله تعالى وحسن توفيقه.

خامسًا ــ خطَّة المعتمدة في كتابة البحث:

قسَّمْتُ بحثي إلى مقدِّمةٍ ومبحثين أساسين وخاتمة.

أمَّا **المقدِّمة،** فذكرتُ فيها عنوان البحث وبيان أهمِّيَّتِه، والأسباب الدافعة لكتابته، والمنهج المعتمد فيه، فضلًا عن بيان إشكاليته التي يرتكز عليها، وخطَّتِه المعتمدة في كتابته.

وأمَّا **المبحث الأوَّل**، فخصَّصْتُه للحديث عن التعريف بالإمام أحمد بن نصر الداودي، وقسَّمْتُه إلى مطلبين، أساسيين، وهما:

المطلب الأوَّل، وتكلَّمتُ فيه عن مرحلة التأثُّر في حياة الإمام، وذكرته في أربعة فروع، **أُولَاها:** بيان اسمه ولقبه وكنيته؛ **وثانيها:** معرفة أصل نسبه؛ **وثالثها:** نشأته وطَلَبُه للعلم؛ **ورابعها:** معرفة أسماء شيوخه؛ بينما تكلَّمتُ في **المطلب الثاني** عن مرحلة التأثير في حياة الإمام، وحصرته في خمسة فروع؛ **الأوَّل** منها: تلاميذه؛ و**الثاني:** مصنَّفَاتُه العلمية وآثاره؛ و**الثالث:** إجازاته برواية مصنَّفاته عنه، ومنها: إجازته للإمام ابن عبد البرّ القرطبي؛ و**الرابع:** ثناء العلماء ومدحه له؛ و**الخامس:** وفاته ـ رحمه الله ـ.

وأمَّا **المبحث الثاني**، فهو خاصٌّ ببيان أقوال الإمام الداودي في تفسير كلام الله تعالى، وبَسْطِ بعض آرائه التفسيرية في هذا الباب، من خلال ما وقفت عليه من كلامه الذي نقله عنه الإمام الجليل عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، حيث قُمْتُ بجمعها وترتيبها، وتصنيفها وتحليلها، والاستشهاد على صحَّتِها أو ضَعْفِها، على قَدْرِ الجهد والطاقة والبشرية؛ وقسَّمْتُه مطلبين رئيسيين؛ أمَّا **المطلب الأوَّل**، فركَّزْتُ الكلام فيه عن بعض الملامح الدالَّة على منهجه التفسيري، وفي مبسوطة في فروع، **أُولَاهَا:** استناده إلى آيات القرآن الكريم؛ و**ثانيها:** اعتماده على الروايات الحديثية الواردة عن نبينا الكريم؛

و**ثالثها:** اعتماده على أقوال الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ؛ و**رابعها:** اعتماده على أقوال التابعين؛ و**خامسها:** مراعاة سبب نزول الآية الكريمة؛ و**سادسها:** اعتماده على الشرح اللغوي لألفاظ القرآن الكريم؛ و**سابعها:** اعتماده في استنباط الأحكام الشرعية على الفقه على مذهب مالك رحمه الله ـ وفقهه.

وأمَّا **المطلب الثاني**، فيتعلَّق بالكشف عن بعض أهمِّ آرائه الصادرة عنه، وجعلته في ثلاثة فروع، **الأوَّل** منها يشمل: بيان بعض مسائل التوحيد المتعلقة بباب الألوهية، وجَعَلْتُه في خمسةِ عناصر مُهِمَّة، هي: 1 ـ الآيات الكونية الدَّالَّة على توحيد الله تعالى؛ 2 ـ ذكر الله تعالى يكون بطاعته سبحانه وتعالى؛ 3 ـ معنى سؤال إبراهيم عليه السلام للهِ تعالى بإحياء الموتى؛ 4 ـ بيان معنى اسم الله (المقيت)؛ 5 ـ معنى اسم الله (ذو الجلال)؛ 6 ـ بيان حقيقة مشيئة الله تعالى.

وأمَّا **الفرع الثاني**، فهو يتعلَّق ببيان مسائل في باب النبوَّة، وجعلته في عنصرين هامَّيْنِ، وهما: بيان رأيه في عصمة الأنباء والرسل عن الوقوع في كبائر الذنوب؛ وكذا رأيه في أنَّ كُلَّ شانئٍ مبغضٍ لِرَسُولِ الله ـ عليه السلام ـ مطرودٌ مِن رحمةِ الله تعالى.

وأمَّا **الفرع الثالث**، فهو خاصٌّ ببيان بعض المسائل المتعلِّقة بالسمعيات (الغيبيات)، وهو يشمل العناصر السبعة الآتية: 1 ـ بيان معنى لفظة (الروح)؛ 2 ـ فوقية المؤمنين يوم القيامة؛ 3 ـ دخول الجنِّ الجنةَ وثوَابُهُم فيها؛ 4 ـ انقطاع توبة العباد عند ظهور علامات الساعة الكبرى؛ 5 ـ دعوى المؤمنين وتحيتهم في الجنان؛ 6 ـ توفية الله تعالى نصيب الكفار يوم القيامة. 7 ـ حور العين محجوبَاتٌ مَصُونَاتٌ في خيامُ الجَنَّةِ.

بينما **الفرع الرابع**، فهو متعلِّقٌ بَعَرْضِ مسائل تفسيرية عامَّة، وهي مبسوطةٌ في ستَّة عشر عنصرًا أساسيًّا، وهي: 1 ـ التعاون على البر والتقوى؛ 2 ـ معنى التذكير بأيام الله تعالى؛ 3 ـ بيان خطورة العزَّة بالإثم؛ 4 ـ الخوف من مقام الله يوم القيامة؛ 5 ـ تحقيقه في مسألة نزع القرآن من الصدور قبيل قيام الساعة؛ 6 ـ بيان معنى القبض اليسير؛ 7 ـ بيان معنى الدعاء في قوله تعالى: ﴿**لَوْلا دُعاؤُكُمْ**﴾؛ 8 ـ حقيقة التوكل على الله تعالى بأنَّ رزقه آت لا محالة؛ 9 ـ مسألة العزم على الفعل؛ 10 ـ تسبيح الملائكة لله تعالى واستغفارهم لعباد الله المؤمنين؛ 11 ـ بيان معنى التنقيب في البلاد؛ 12 ـ بيان معنى تسبيح الله تعالى؛ 13 ـ أرجى آية في القرآن الكريم؛ 14 ـ سؤال الله تعالى عباده يوم القيامة على أنواع النعيم في الدنيا؛ 15 ـ الوسواس صنفان من الشياطين والناس.

وأمَّا **خاتمة البحث**، فهي حوصلة دقيقة وموجزة لأهمّ النتائج المتوصل إليها، مع عرض بعض التوصيات التي قد تفيد في فتح مجالاتٍ وآفاقٍ بحثيةٍ مهِمَّة، وأَتْبعْتُهَا بذكر فهارس عامَّة تُسَهِّلُ للقارئ الوقوف على تفاصيل البحث ودقائقه، والله الموفِّق لِكُلِّ خيرٍ، وهو نِعْمَ المولى ونعم المصير.

وإليك أخي القارئ الكريم ما حواه هذا البحث الشَّيِّق، الذي أرجو من الله تعالى أنْ ينفعَ به الخاصُّ والعام من المسلمين، خصوصًا أفراد شعبنا الكريم ببلدنا الجزائر الحبيبة.

المبحث الأوَّل: التعريف بالإمام أحمد بن نصر الداودي

الحديثُ عن إمامٍ جليلٍ، كإمامنا أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، فخر كبيرٌ، وشرف عظيمٌ للأمَّة العربية والإسلامية، كَوْنُه أحدَ كبارِ المفسِّرين الذين أنجبتهم بلادنا الجزائر، في عصور ماضية، فقد كان له جهدٌ معتبر في خدمة كتاب الله تعالى، وشرح سنة النبيِّ ﷺ، فضلًا عمَّا تَرَكَهُ لَنَا من مصنَّفاتٍ علميةٍ قَيِّمَةٍ في علوم عديدة وفنونٍ شتَّى، وبناءُ على قاعدة المؤرخين الهامة في هذا الباب، وهي أنَّ (من أرخ لعالم فقد أحياه)، أجدني مضطرًّا للقيام بترجمة عامة ودقيقة لأهمّ المحطات في حياته الشخصية، وهو ما سنراه مفصَّلًا في ثنايا هذا المبحث الذي قسمته إلى مطالبين مع عرض بعض تفاصيل فروعه، وهي بالشكل الآتي:

المطلب الأول ــ مرحلة التأثُّر في حياة الإمام:

أقصد بمرحلة التأثُّر في حياة الإمام الداودي: كَوْنُهُ بحاجة ماسَّةٍ إلى مَن يَرْعَاهُ في صِغَرِه، ثمَّ من تَوَلَّى تعليمه وتربيته، ومَن ساهم في تلقينه مبادئ العلوم والفنون إلى أنْ شَبَّ واستقلَّ بنفسه، وهي تظهر في الفروع الآتية:

الفرع الأول ــ اسمه ولقبه وكنيته:

هو: أحمد بن نصر الداودي الأسدي المسيلي[1] التلمساني الجزائري، أبو جعفر[2].

الفرع الثاني ــ أصل نسبه:

ذكر الإمام القاضي عياض أنَّ أصله من مدينة (المسيلة)[3]، وهي تقع جهة الشرق من العاصمة الجزائرية؛ وعلى قول آخر ضعيف: أنّه من مدينة بسكرة[4]؛ والصواب الأوّل، وعليه دَرَجَ غالبية المؤرِّخِين له.

---

[1] نسبة إلى مدينة (المسيلة)، إحدى مدن الجزائر، الواقعة جهة الشرق، ويقال لها في القديم: (مزيلة) بحرف الزاي، وهي في الأصل قبيلة من البربر، زارها الإمام ابن خلدون أثناء رحلاته؛ وكانت تسمة بـ(المحمدية)، حيث بناها أبو القاسم محمد بن عبيد الله الشيعي؛ ينظر: تقويم البلدان، مكتبة الثقافة الدينية، ط.1، (1427 هـ)، (ص/158 ـ 159)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، (405/30).

[2] ينظر ترجمته في: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (102/7 ـ 104)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (165/1 ـ 166)؛ فهرسة ابن خير الإشبيلي، (ت: 575 هـ)، تحقيق: محمد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، (1419هـ ـ 1998م)، (ص/391 ـ 392)؛ معجم المؤلفين، (194/2)؛ تاريخ الجزائر العام، (361/1)؛ نفحات النسرين والريحان، (ص/70)؛ معجم اعلام الجزائر، (ص/187).

[3] وفي هذه المدينة عاش الفترات الأولى من حياته، إلى شبَّ وترعرع، حيث عاش بعدها متنقِّلًا بين مدن الجزائر، كتلمسان وغيرها، فضلا عن تنقله إلى مدينة طرابلس بليبيا، حيث استقرّ بها مدة من الزمن، ثم عاد إلى الوطن، ليستقر به الحال بمدينة تلمسان، أين توفي بها.

[4] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (102/7).

الفرع الثالث ــ نشأة الإمام وطلبه للعلم:

لم تذكر لنا كتب التراجم والسير ما يفيدنا في معرفة فترة حياته الأولى، خاصَّة من يتعلَّق بنشأته وطلبِه للعلم، إلَّا نُتَفًا وجيزةً جدًّا، يُسْتَشَفُّ منها بعض ما يمكن تسميته بنوافذ إلى مُطِلَّة روضة حياته.

ومما لا شكّ فيه، أنَّه أخذ مبادئ التربية الأولى على يد والديه، ثمَّ على كُتَّاب المدينة التي بها وُلِدَ، إلى أنْ شبَّ، غير أنَّه واصل تعلُّمه باجتهادٍ ومثابرةٍ منه دون الاعتماد على أحد، وهو المعنى الذي ذكره القاضي عياض، حيث أشار إلى أنَّه كان عصاميًّا في طلبه للعلم، بقوله: "ولم يتفَقَّهْ في أكثر علمه عند إمام مشهورٍ، وإنَّما وصل إلى ما وصل بإدراكه"[1].

الفرع الرابع ــ شيوخه:

لم يورد المؤرخون للإمام الداودي أنَّ له شيوخا تتلمذ على يدهم، ونهل من معارفهم وعلومهم وأدبهم[2]، غير أنَّ الباحث المحقِّق عبد العزيز دخان، صاحب موسوعة الإمام الداودي[3]، قد ذكر له ثلاثة شيوخ، ووقفت على رابعٍ، وهم:

1 ــ إبراهيم بن عبد الله الزبيدي القلانسي، أبو عبد الله، المتوفى سنة (356هـ).

2 ــ إبراهيم بن خلف الأندلسي، المتوفى سنة (359هـ).

3 ــ محمد بن سليمان النعالي، أبو بكر، المتوفى سنة (380هـ).

4 ــ أبو بكر بن عبد الله بن أبي زيد القيرواني التونسي.

والحقيقة أنَّ عدم ذكر المؤرخين لشيوخ الإمام الداودي، لا يعني إطلاقا عدم تلقِّيهِ العلمَ عنهم، فهذا غير معقولٍ، ومَا شَرْحُه لِمَوَطَّأِ مالكٍ وصحيح البخاري، وغيرهما من مؤلَّفاته، إلَّا دليلٌ قاطعٌ على تلقِّيهِ العلم على أيديهم، فكيف يستطيع شرح الموطأ والبخاري إن لم يتلقَّ الرواية عن الشيوخ؟!.

---

[1] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (103/7).

[2] يرجع سبب عدم ذكر المؤرخين لشيوخه إلى ما ذكره القاضي عياض عنه في كتابه: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (103/7)، بقوله: "وبلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك. فأجابوه: (أَسْكُتْ، لَا شَيْخَ لك)، أيْ: لِأَنَّ دَرْسَهُ كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويُشِيرُونَ: أَنَّهُ لو كان له شيخٌ يُفَقِّهُهُ حقيقةَ الفِقْهِ لَعَلِمَ أنَّ بقاءَهُم مع مَن هناك من عامَّة المسلمين تَثْبِيتٌ لهم على الإسلام، وبقيةٌ صالحةٌ للإيمان، وأنَّهم لَوْ خرجَ العلماءُ عن إفريقية لَتَشَرَّقَ مَن بَقِيَ فيها من العامَّة الأَلَفَ والآلَافِ، فرَجَّحُوا خَيْرَ الشَّرَّيْنِ، والله أعلم".

[3] ينظر: موسوعة أحمد بن نصر الداودي، لـ: عبد العزيز دخان، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط. خاصة، (2013م)، (46/1).

وهذا الأمر هو الذي رجَّحته الأستاذة الدكتور الفاضلة حفيظة بلميهوب ـ حفظها الله وأطال في عمرها ونفعنا بعلمها ـ بقولها: "والذي نرجِّحُه هو أنَّ الداودي أخذ العلمَ عن المشايخ، فهذا العلم لا يستقيم إلا بروايته عن الشيوخ، والداودي يَعُدُّ من أوائل من شرح (صحيح البخاري)، وإنْ لم يكن أوَّلُهُم، فكيف يقدم على شرح أصحِّ كتابٍ بعد كتاب الله تعالى وهو لم يتلَقَّهُ عن رُوَّاتِهِ؛ ونحن تعلم حرصَ العلماءِ على الرواية، وعلى الرُّوَّاة، لأنَّه كلام رسول الله ـ عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ؛ والداودي إنْ لَمْ يَثْبُتْ أنَّه خرجَ من بلده، فهذا لا يقدحُ في علمه، فكثيرٌ من العلماء لم يخرجوا، كـ: مالك والشاطبي والجيَّانِي ـ محدِّث الأندلس ـ وغيرهم "[1].

المطلب الثاني ــ مرحلة التأثير في حياة الإمام الداودي:

هي المرحلة التي بدأت فيها جهود الإمام العلمية والأدبية والثقافية تظهر آثارُها على أرض الواقع، مِن خلال تلاميذه الذين تأثّروا به وبمنهجه العلمي، خصوصا في علم التفسير وشرح الحديث النبوي الشريف وغيرها، وكذا في من خلال مصنَّفَاتِه العلمية، ويمكنني عَرْضُهَا في الفروع الآتية، وهي:

الفرع الأول ــ تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام الداودي عدد من طلبة العلم النجباء، الذين اشتهر ذكرهم، وذاع صيتهم، حتى أصبحوا من كبار العلماء والصلحاء، وهم مُرَتَّبِينَ حسب تاريخ وفاتهم، منهم:

1 ـ أحمد بن عبيدة بن ميمون الأموي الطليطلي الأندلسي، أبو العباس، المتوفى سنة (400 هـ).

2 ـ عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ بن فطيس القرطبي، أبو المطرف، المتوفى سنة (402 هـ).

3 ـ عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر بن الفرضي القرطبي الأندلسي، أبو الوليد، المتوفى سنة (403).

4 ـ هشام بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الصابوني، القرطبي أبو الوليد، المتوفى سنة (423 هـ).

5 ـ أحمد الألبيري، أبو العباس، (ت.432هـ).

6 ـ عبد الرحمن بن سعيد بن خزرج، الإلبيري الأندلسي، أبو المطرف، (ت.439هـ).

7 ـ مروان بن علي الأسدي القرطبي البوني، أبو عبد الملك، المتوفى قبل سنة (440هـ).

---

[1] ينظر بحثها الموسوم بـ: (الإمام أحمد بن نصر الداودي المسيلي التلمساني وجهوده العلمية)، (ص/4)؛ والذي قدَّمَتْه للمتلقى الوطني الأول حول أعلام الجزائر: علماء الجزائر وامتدادتهم المعرفية في إفريقيا، نماذج مختارة، والمنعقد يومي السبت والأحد 26، و27 ربيع الأول، (1444 هـ)، والموافق لـ: (22 و23 أكتوبر 2022م)، بكلية العلوم الإسلامية بالخروبة، جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة بالتعاون مع مخبر مناهج البحث في العلوم الإسلامية.

8 ـ مروان بن علي القطان البوني الجزائري، أبو عبد الله، المتوفى سنة (؟؟؟).
9 ـ أحمد بن سعيد بن عليّ بن أبي الرجال القادسي الإشبيلي، المتوفى سنة (؟؟؟).
10 ـ ابن الوفاء، أبو علي، المتوفى سنة (؟؟؟).

الفرع الثاني ــ مصنفاته العلمية وآثاره:

أَلَّفَ الداودي عددًا من الكتب القيمة التي لقيت قبولًا عند أهل العلم، وأشار إليها أغلب المترجمين له، وهي ـ حسبما وقفت عليه ـ:

1 ـ (الأسئلة والأجوبة).
2 ـ (الإيضاح في الرد على البكرية).
3 ـ (النامي في شرح الموطأ).
4 ـ (النصيحة في شرح صحيح البخاري).
5 ـ (الواعي في الفقه).
6 ـ (تفسير القرآن الكريم) = (تفسير الداودي).
7 ـ (كتاب الأصول).
8 ـ (كتاب الأموال).
9 ـ (كتاب البيان).

قال القاضي عياض: "وبلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سكناهم في مملكة بني عبيد، وبقاؤهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرَّة بذلك؛ فأجابوه: "أسكتْ لا شيخَ لك"، أيْ: لِأَنَّ دَرْسَهُ كان وحده، ولم يتفقَّه في أكثر علمه عند إمام مشهورٍ، وإنَّما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويشيرون أنه لو كان له شيخٌ يُفَقِّهَهُ حقيقةَ الفِقْهِ لَعَلِمَ أنَّ بقاءَهُم مع مَنْ هناك من عامَّةِ المسلمين تثبيتٌ لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان، وأنهم لو خرج العلماء عن إفريقية لتشرّق من بقي فيها من العامة الألف والآلاف، فرجَّحُوا خَيْرَ الشَّرَّيْنِ، والله أعلم"[1].

الفرع الثالث ــ إجازاته برواية مصنفاته عنه، ومنها: إجازته للإمام ابن عبد البرّ القرطبي:

أورد الإمام ابن خير الإشبيلي في (فهرسته) إجازة الداودي للإمام ابن عبد البرّ القرطبي برواية مصنفاته عنه، حيث يقول ابن خيِّر الإشبيلي: "تآليف أحمد بن نصر الداودي وجميع رواياته عن شيوخه حدَّثَنِي بها أبو محمَّد بن عتاب، وأبو الحسن يُونُس بن مُحَمَّد بن مغيث ـ رحمهمَا الله ـ، كلاهما عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمد بن الحذاء، عن أبي عبد الملك مروان بن عليٍّ القطان البوني عنه؛ قال أبو محمد بن عتاب: وحدَّثَني بها أبو عمر بن عبد البر النمري الحافظ،

[1] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (102/7، 103).

قال: كتب إليَّ أحمد بن نصر الداودي بإجازةِ ما رواه وألَّفَه؛ وحدثني بها شيخنا الخطيب أبو الحسن شريح بن محمد المقرئ عن خاله أبي عبد الله أحمد بن الخولاني عن أبي عبد الملك مروان بن علي البوني عنه "[1].

الفرع الرابع ــ ثناء العلماء ومدحهم له:

حضي الإمام الداودي بجملةٍ من أجملِ عبارات الثَّنَاء والمدح، صدرت عن خيرة علماء الإسلام، دلَّت كلُّها على فضل الله تعالى عليه، بما حَبَاهُ به من خصائص وميزاتٍ، جعلته من أكابر علماء الإسلام علمًا وأدبًا وأخلاقًا، من ذلك:

ـ ما قاله القاضي عياض في (مداركه)، بقوله: "أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من أئمة المالكية بالمغرب، والمتَّسِمِين في العلم، المجيدين للتأليف...، وكان فقيهًا، فاضلًا، متفنِّنًا، مؤلِّفًا، مجيدًا، له حفظ من اللسان والحديث والنظر "[2].

ـ والعبارة نفسها تقريبا ينقلها ابن فرحون بقوله: "كان فقيهًا، فاضلًا، متقنًا، مؤلِّفًا، مُجِيدًا، له حظ من اللسان والحديث والنظر "[3].

الفرع الخامس ــ وفـاة الداودي:

استقرَّ الإمام الإمام الداودي بـ(تلمسان)، حيث قضى أفضل فترات حياته العلمية، إلى أنْ توفِّيَ بها سنة (402هـ)[4]، وقبره بها عند شَرْقَي (باب العقبة)؛ وقد أورد القاضي عياض تاريخا آخر لوفاته وأنه كان سنة (411هـ؛ وفي شجرة النور الزكية أنّه كان سنة (407هـ)؛ وفي نوازل الشريف العلمي أنه توفي سنة (442هـ)؛ وذكر أبو راس المعسكري أنّه توفي في آخر القرن الرابع؛ وكلُّ هذه الأقوال غير صحيحة، ما عَدَا القول الأوَّل، حيث قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: " وقرأت في بعض التواريخ أن وفاته سنة إحدى عشرة؛ والأوَّلُ أصحُّ "[5].

---

[1] فهرسة ابن خير الإشبيلي، (ص/391)، برقم: (1288).

[2] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (102/7 ـ 103)، بتصرّف.

[3] الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، (166/1).

[4] ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (18/1)؛ وهو الرأي الذي استقرّ عليه أغلب المحققين من العلماء والباحثين، وبه آخذ، خاصة وأنَّ القاضي عياض من أقرب الناس عهد به.

[5] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (104/7)؛ معجم أعلام الجزائر، (ص/187).

المبحث الثاني: منهج الإمام الداودي وبعضُ أهمِّ أقوالِه وآرائِه في تفسير القرآن الكريم:

حَاوَلْتُ الوقوفَ على منهج الإمام الداودي في تفسير القرآن الكريم، بعد القيام بجمعِ بعض أهَمِّ الأقوالِ والآراء الصادرة عنه، الدَّالَّة على سَدَادِ فكِره، وصوابِ رأيِه، ودِقَّة منهجه، وسلامة لغته، وحُسْنِ بَلَاغَتِه، وغَوْصِه في فَهْمِ معاني كلامِ الله تعالى، وذلك من خلال تَصَفُّحِي لِتفسير الثعالبي على وَجْهِ الدِّقَّة والتمحيص، وتسهيلًا للقارئ الكريم، رَأَيْتُنِي من الضروري أنْ أُفَصِّلَ الحديثَ في هذا المبحث من خلال مَطْلَبَيْهِ الأسَاسِيَّيْن الآتيين، وما تفرَّع عنهما من فروع، وهي بالشكل الآتي:

المطلب الأوَّل ــ بعض الملامح الدالة على منهجه التفسيري:

يتضمَّن هذا المطلب الكشفَ عن بعضِ الملامح الدَّالَّة على منهجِ الإمام الداودي في تفسير كلام الله تعالى، وقد تبيَّنَ لي بما فيه الكفاية أنَّ الإمام ـ رحمه الله ـ استناده إلى عدد من القواعد والأصول المقررة في علم التفسير، وهي مفصَّلةٌ في الفروع الآتية:

الفرع الأوَّل ــ استناده إلى آيات القرآن الكريم:

استند الإمام في آيات القرآن القرآن الكريم في الكشف عن معانيها، بما يتوافق مع ما قرَّره أئمة الإسلام في قواعد التفسير وأصوله وأسسه العامَّة، وهذا كما هو معلوم الأصل الأوَّل عندهم، وهو: **(تفسير القرآن بالقرآن)**؛ ويتجلى هذا في كلّ الآيات التي ستمرّ على القارئ في هذا البحث، ومن ذلك: **بيان معنى لفظة (الفتح):** فقد ذهب الإمام أحمد بن نصر الداودي في تفسيره للآية الكريمة تفسيرًا حسنًا، موافقا لما قرَّره أئِمَّة التفسير وأهل اللغة[1]، حيث يشير إلى أنَّ لفظة (يستفتحون)، الواردة في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: 89] معناها: يستنصرون، مؤيِّدًا رأيه بما ورد في آية قرآنية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ...﴾ الآية [المائدة: 52]، أيْ: بالنصر؛ وهذا التفسير لهذه اللفظة صادرٌ منه بناءً على يُعْرَفُ في عصرنا الحالي بقاعدة: (تفسير القرآن بالقرآن)، وهي من أعلى درجات التفسير صحَّةً عند علماء القرآن والتفسير.

---

[1] يقال في اللغة: (استفتحَ الرَّجُلُ فلانًا، يستفتحه، استفتاحًا، فهو مُستفتِح)، والمفعول (مُستفتَح): إذا استنصره، وطلب منه الفتحَ والنَّصرَ، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**﴾ [الرعد: 15]، وقوله تعالى: ﴿**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ**﴾ [الأنفال: 19]؛ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، (1664/3).

ومن هنا، فإنَّ معنى الآية أصبحَ واضحًا، وهو: أنَّ بني إسرائيل كانوا قبل مَبْعَثِ رسول الله ﷺ قد علموا خروجه بما علموا عنْدَهُمْ من صفته في التوراة، وذكر وقته، وظنُّوا أنه منهم، فكانوا إذا حاربوا الأوْسَ والخَزْرجَ، فغلبتهم العَرَبُ، قالوا لهم: لو قد خرج هذا النبيُّ الذي أظلَّ وقتُهُ، لقاتلْنَاكُم معه، واستنصرنا به عليكم، فلما عرفوا جِنْسَه، وأنّه ليس منهم، كفروا بما جاء به من القرآن الكريم المصدِّق لما معهم من التوراة[1].

الفرع الثاني ــ اعتماده على الروايات الحديثية الواردة عن نبينا الكريم:

النماذج في هذا الشأن عديدة، منها ـ مثلا ـ: ما يورده الداودي في تفسير سورة هود، التي تبتدئ بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤﴾ [هود: 1 ـ 4]، وهي من السور المكية، إلَّا نحو ثلاث آيات منها، حيث يذكر فيها ما رواه أبو بكر الصّدّيق ﷺ عن النبي ﷺ: « قلت: يا رسول الله، لقد أسرع إليك الشّيب؟!، قال: « **شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** »[2].

وفي رواية عن ابن عباس: « **هُودُ وَأَخَوَاتُهَا** »[3][4].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (278/1)؛ وهو المعنى نفسه الذي يقرِّرُه الإمام ابن جرير في تفسيره: جامع البيان في تأويل القرآن، (332/2)، بقوله: " وكان هؤلاء اليهود ـ الذين لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم من الكتب التي أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به ـ يستفتحون بمحمد ﷺ ومعنى (الاستفتاح): الاستنصار، يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه، أيْ: مِن قَبْلِ أنْ يُبْعَثَ... ".

[2] حديث صحيح، أخرجه الترمذي في: سننه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة الواقعة، (402/5)، برقم: (3297)، ثم قال: "هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه"؛ وابن أبي شيبة في: مصنفه، (152/6)، برقم: (30268)؛ والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (374/2)، برقم: (3314)، ثمّ قال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه".

[3] أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في: مصنفه عبد الرزاق، (368/3)، برقم: (5997)، ولفظه عنده بتمامه: "**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا: سُورَةُ الوَاقِعَةِ، وَسُورَةُ القِيَامَةِ، وَالمُرْسَلَاتِ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ**"؛ والطبراني في: المعجم الكبير للطبراني (123/22)، برقم: (318)، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ شِبْتَ، قَالَ: «**شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا**».

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (271/3).

ومنها أيضا: مسألة نزع الغلِّ (الحقد) من صدور المؤمنين يوم القيامة قبل دخول الجنة، وهو ما نجده عند تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ۝٤٨﴾ [الحجر: 45 ـ 48]، حيث يورد الداودي ـ رحمه الله ـ ما روي في نزع الغلِّ أو الحقد من صدور المؤمنين يوم القيامة قبل دخلوهم الجنَّة، عن النبيّ ﷺ قال:

« إِذَا خَلَصَ المُؤْمِنُونَ مِنَ الصِّرَاطِ، حُبِسُوا عَلَى صِرَاطٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ بِمَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، وَاللَّهِ، لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْ منزله في الدّنيا »[1][2].

وهكذا إذا جئنا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: 97 ـ 99]، ففي هذه الآية الكريمة تأنيس للنبيِّ ﷺ بسبب ما لَاقَاهُ مِن كفَّار قريش حتَّى ضاقَ صدره من أذاهم؛ ويؤكِّدُها الداودي ـ رحمه الله ـ بما أورده عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: **« مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ المَالَ، وَأَكُونَ مِنَ التَّاجِرِينَ، وَلَكِنْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ، واعبد رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينِ»**[3][4].

---

[1] أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، (111/8)، برقم: (6535)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ؛ ولفظه عنده بتمامه: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا** ».

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (401/3).

[3] أخرجه أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، المتوفى سنة (806 هـ)، في: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1426هـ ـ 2005م)، عدد الأجزاء: (1)، (505/1)، برقم: (3)، ثم قال: " رواه ابن مردويه في التفسير من حديث ابن مسعود بسند فيه لين"؛ والمتقي علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، (ت.975هـ)، في: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، تحقيق: بكري حياني / صفوة السقَّا، الناشر: مؤسَّسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط.5، (1401 هـ / 1981م). (246/3)، برقم: (6375).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (409/3).

الفرع الثالث ــ اعتماده على أقوال الصحابة ــ رضوان الله تعالى عليهم ــ:

يعتمد الداودي على أقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في بيان معاني كلام الله تعالى، خصوصًا الصحابي الجليل ابن عمّ النبي ﷺ عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؛ ومن ذلك: ما يورده ـ رحمه الله ـ عنه في بيان أنَّ تنزيه الله تعالى وتسبيحه وتحميده يَقِي الإنسانَ المؤمنَ من أنواع عذاب الله تعالى، ومنها إرسال الصواعق، المشار إليها قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: 13]، قال ابن عباس: "مَنْ سمع الرعْدَ، فقال: « سُبْحَانَ الذي يُسَبِّح الرعْد بحَمْده، والملائِكَةُ مِنْ خيفته، وهو على كلِّ شيء قدير»، فإنْ أصابته صاعقةٌ، فعليَّ دِيَتُهُ"[1].

الفرع الرابع ــ اعتماده على أقوال التابعين:

اعتمد الإمام ـ رحمه الله ـ كثيرًا على أقوال التابعين ـ رحمهم الله تعالى ـ، وهي ستظهر في أغلب ما أوردته في هذا المبحث الثاني بمطلبيه، ولعلَّ هذا المثال الذي أذكره هنا يُوَضِّحُ لَنَا هذه الفكرة، حيث يعتمد الداودي في هذا السياق على ما يرويه التابعون في بيان معنى آيات القرآن الكريم، كما هو الشأن في إيراده قول الحسن البصري في معنى قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ﴾، قال: "أحكمت بالأَمْرِ والنهْي، ثم فُصِّلَتْ بالوعْدِ والوعيدِ؛ وعنه: فُصِّلَتْ بالثوابِ والعقابِ"؛ وهو اختلاف تنوع، لا اختلاف تضادٍّ، فآيات الله تعالى أُتْقِنَتْ وأجيدَتْ، وبهذه الصفة كان القرآن في الأزَل، ثم فُصِّل بتقطيعه، وتَبْيين أحكامه وأوامره علَى محمَّد نبيه ـ عليه السلام ـ في أزمنةٍ مختلفةٍ، فالإحْكَامُ صفةٌ ذاتيةٌ، والتفصيلُ إنَّما هو بحسَبِ مَن يُفصَّل له، والكتابُ بأَجمعه محكَمٌ ومفَصَّل، والإحْكَام الذي هو ضدُّ النَّسْخ، والتفصيلُ الذي هو خلافُ الإجمال، إنما يُقَالَانِ مع ما ذَكَرناه باشتراكٍ.

وما ذكره الداودي هو الصواب في المسألة، ويوافقه الصفاقسي في بيان دور لفظ (ثُمَّ) في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ فُصِّلَتْ**﴾، بأنها " لترتيب الأخبار، لا لترتيب الوقوع في الزمان"[2].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (364/3).

[2] ينظر: المصدر نفسه، (272/3).

ومن ذلك: مسألة بكاء السماء والأرض على موت عباد المؤمنين، خلافا للكافرين، حيث يعتمد الداودي في فَهْمِها، على قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝٢٩ ﴾ [الدخان: 25ـ29]، وفي هذه الآية الكريمة يورد ـ رحمه الله ـ ما ذكره مجاهد ـ رحمه الله ـ بقوله: "ما مات مؤمنٌ إلَّا بكَتْ عليه السماءُ والأرضُ، وقال: أفي هذا عجبٌ؟!، وما للأرضِ لا تَبْكِي على عبدٍ كانَ يَعْمُرُها بالرُّكُوعِ والسجودِ، وما للسماء لا تَبْكِي على عبدٍ كان لتسبيحِهِ وتكبيرِهِ فيها دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ؟! »[1].

الفرع الخامس ــ مراعاة سبب نزول الآية الكريمة:

أخذ الداودي بمراعاة سبب نزول الآية الكريمة، وتحديدا في أنَّ نزول الملائكة يكون بأمر الله تعالى، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ۝٦٤ ﴾ [مريم: 64]، حيث يذكر عن مجاهد قوله: "أبطأت الرسل عن رسول الله ﷺ، ثم أَتى جِبْرِيلُ عليه السلام قال: ما حَبَسَكَ؟، قال: وكَيْفَ نَأْتِيكُم وأَنْتُمْ لاَ تَقُصُّونَ أَظْفَارَكُمْ؟، وَلاَ تَأْخُذُونَ شَوَارِبَكُمْ؟، وَلاَ تَسْتَاكُونَ؟، ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ ﴾"[2].

وما ذهب إليه الداودي من بيان سبب النزول، قد ورد معه سببان آخران، وهما: ما قاله ابنُ عباس، وغيرُه: سبب هذه الآية: أَن النبي ﷺ أَبْطَأَ عنه جِبْرِيلُ ـ عليه السلام ـ مدَّةَ فَلما جاءه قال: « يَا جِبْرِيلُ، قَدِ اشْتَقْتُ إِلَيْكَ، أَفلَا تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورَنَا»، فنزلت هذه الآية[3].

وقال الضَّحَّاكُ، ومجاهدٌ: سببها أَن جِبْرِيلَ تأَخَّر عن النبي ﷺ عند قَوْلِه في السؤالات المتقدِّمَةِ في سُورةِ الكهف: « **غدًا أُخْبِرُكُمْ** »[4][5].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (200/5).

[2] أخرجه أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن بن أبي شيبة الخواستي العبسي، (ت. 235هـ)، في: مصنفه، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط.1، (1409هـ)، عدد الأجزاء: (7)، كتاب الطهارات، باب: ما ذكر في السواك، (157/1)، برقم: (1805)، ولكن بلفظ: (وَلَا تُنَقُّونَ بَرَاجِمَكُمْ)، بدل (شواربكم).

[3] أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، (112/4)، برقم: (3218)، عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ؛ وكذا في كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا**...﴾ [مريم: 64]، (94/6)، برقم: (4731).

[4] ذكره ابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (24/4).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (27/4).

ومن مراعاته لبيان سبب نزول الآيات القرآنية: ما نجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ۝٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ۝١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ ﴾ إلَى آخرِ السورةِ [العلق: 6 ـ13]، يشير الداودي في هذه الآيات الكريمة أنها نَزَلَتْ في الطاغية أبي جَهْلٍ، وأنَّ العبدَ المصلِّي هو سيِّدُنا ونَبِيُّنَا محمّد ﷺ، وذلكَ أنَّ أبا جهلٍ طَغَى لِغِنَاهُ وكثرةِ مَنْ يَغْشَى نَادِيه، فناصبَ رسولَ اللهِ ﷺ العداءَ، ونَهَاهُ عَنِ الصلاةِ في المسجدِ، وقال: لَئِنْ رأيتُ محمَّدًا يسجُدُ عند الكعبةِ لَأَطأَنَّ عنقَه، فيروى أنَّ النبي ﷺ رَدَّ عليه القول وانتهره؛ وعبارة الداوديّ: "فَتَهَدَّدَهُ النبيُّ ﷺ، فَقَال أبو جهل: أتُهَدِّدُني؟!، أما واللَّه إني لأكْثَرُ أهْلِ الوادِي نَادِيًا، فَنَزَلَتْ الآيةُ"[1]؛ وفي هذا الخبرِ وعيدٌ للطاغينَ من الناسِ، حسبما ذكره الثعالبي في تفسيره[2].

الفرع السادس ــ اعتماده على الشرح اللغوي لألفاظ القرآن الكريم:

يظهر من النماذج التي أوردها الثعالبي في تفسير أنَّ الإمام الداودي يُرَكِّزُ كثيرًا على شرح ألفاظ القرآن الكريم شرحا لغويًا مفيدًا، فقد تكرَّرَت في العديد من المواضع، وهي بالشكل الآتي:

ــ بيان معني لفظة (تَفْتَؤُ):

ينقل الداودي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥ ﴾ [يوسف: 85]، قولَ عبد الله بن عباس ﷺ بأنَّ معناها: "لا تزالُ تَذْكُرُ يوسُفَ، حَتَّى تَكُونَ حَرَضا"[3]، أيْ: الذي قد أنهاه الهَرَمُ أو الحُبُّ أو الحُزْنُ إلى حالِ فَسادِ الأَعضاء وَالبَدَنِ والحسِّ، أو تكون من الهالكين المعرّضين نفسهم للموت[4].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (608/5 ـ 609).

[2] المصدر نفسه والصفحة.

[3] أخرجه أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي(ت.104هـ)، في تفسيره، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، مصر، ط.1، (1410هـ ـ 1989م)، عدد الأجزاء: (1)، (ص/400)؛ ولفظه عنده بتمامه: « لَا تَفْتُرُ مِنْ حُبِّ يُوسُفَ، لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا، وَالحَرَضُ دُونَ المَوْتِ»؛ وأبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت.211 هـ) في: تفسيره، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1419هـ)، عدد الأجزاء: (3)، (222/2)، برقم: (1335).

[4] قال الإمام الثعالبي في تفسيره: "و(فَتِيءَ): بمنزلة: (زَالَ) و(بَرَحَ)، في المعنَى والعمل، تقول: (واللَّهِ، لا فَتِئْتُ قَاعِدًا)، كما تقول: (لَا زلتُ) و(لا بَرِحْتُ)؛ ويقال: (رجلٌ حَارِضٌ)، أي: ذو همٍّ وحزنٍ، ومنه قول الشاعر (العرجي): [البحر البسيط]

إنِّي امرؤ لَجَّ بِي حُبٌّ فَأَحْرَضَنِي * حَتَّى بَلِيتُ وَحَتَّى شَفَّنِي السَّقَمُ

و(الحَرِضُ) بالجملة: الذي فَسَدَ ودَنَا مَوْتُهُ؛ ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (348/3)، بتصرّف.

وفي هذا السياق، وهو بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم، ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ ﴾ [يوسف: 88]، حيث اختلف المفسّرون في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ ﴾، فقيل: معناه: "ما بَيْنَ الدراهم الجيادَ وبَيْنَ هذه المُزْجَاة "، ـ على ما قاله السُّدِّيُّ وغيره ـ؛ وأمَّا الداودي فَذَهَبَ ـ نقلًا عن ابن جريج ـ إلى أنَّ قولَ إخوةِ يوسفَ لِعزيزِ مصرَ بقولهم: ﴿ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ ﴾، معناه: "ارْدُدْ علينا أخانا"؛ قال الثعالبي: "وهو حسن"[1].

وهذا التحسين لِقَوْلِ الداودي ـ رحمه الله ـ مِن قِبَلِ الإمام الثعالبي إشارة منه إلى قوَّة رَأْيِه، وسداد قوله، وهو ما يؤكِّد قوَّة العمل بـ(قاعدة اختلاف التَّنَوُّعِ، لَا اختلاف التضادِّ).

ـ بيان معنى لفظة (فخشينا):

ومن ذلك أيضا، أقصد بيان معاني ألفاظ القرآن، ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ٨٠ ﴾ [الكهف:80]، أشارَ فيها الإمام الدودي إلى مَا قَالَهُ الخضِرُ ـ عليه السلام ـ لموسى في جوابه له عن الحكمة من فعله بقتل الغلام، رحمةً بالوالدين، وعدم إرهاقهما لَوْ تَرَكَهُ على قَيْدِ الحياةِ، بقوله: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴾ أيْ: عَلِمْنَا[2]؛ وهذا المعنى يؤكِّدُه الحديثُ الواردُ عن النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا**»[3].

وفي هذا السياق أيضا: ما نجده عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢ ﴾ [الكهف: 82]، حيث يظهر منهجه في الاستناد إلى مَا صَحَّ عن رسول الله في سُنَّتِه الشريفة، حيث قال الداوديّ في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا ﴾، عن النَّبيِّ ﷺ قال: « **ذَهَبٌ وفِضَّة**»[4]، انتهى، فإنْ صحَّ هذا الحديثُ، فَلَا نَظَرَ لِأَحَدٍ مَعَهُ، فاللَّه أعلمُ أيَّ ذلك كَانَ "[5]

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (349/3).

[2] المصدر نفسه، (538/3).

[3] أخرجه أحمد بن حنبل في: مسنده، (61/35)، برقم: (21122)؛ والترمذي في: سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف، (5/ 312)، برقم: (3150)، كلاهما عن عبد الله بن عباس عن أبي بن كعب ـ رضي الله عنهما ـ؛ ولفظه عنده بتمامه: "عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « **الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا** »؛ ثم قال: « هذا حديث حسن صحيح غريب ».

[4] هو حديث ضعيف جدًّا، أخرجه الترمذي في: سننه، أبواب التفسير، باب: ومن تفسير سورة الكهف، (313/5)، برقم: (3152)، عنْ أبي الدَّرْدَاءِ ﷺ

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (539/3)؛ وعند الرجوع إلى سنن الترمذي تأكد لي أنَّ الحديث ضعيف، حسبما قرَّرَهُ المحققون من المحدِّثين.

ـ بيان معنى لفظة (قدمنا):

وإذا جئنا إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: 23]، نرى أنَّ الإمام الداوديَّ ـ رحمه الله ـ قد نقل في بيان لفظة ﴿**وَقَدِمْنا**﴾ قول مجاهد أنَّ معناها: عمدنا"[1]؛ بينما فسَّرها الإمام ابن عطية بقوله: "قصد حكمنا وإنفاذنا، ونحو هذا من الألفاظ اللائقة"[2]؛ وهذا اختلاف تنوُّعٍ، لا اختلاف تضادٍّ؛ ومعنى الآية: وقصدنا إلى أعمالهم التي لا تَزِنُ شَيْئًا فصيرناها هباءً، أي: شَيْئاً لا تحصيلَ له، و(الهباء): ما يتطايرُ في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا يكاد يرى إلا في الشمس، قاله ابن عباس[3] وغيره، ومعنى هذه الآية: جعلنا أعمالهم لا حُكْمَ لها ولا منزلة، ووصف تعالى الهباء في هذه الآية بمنثور، ووصفه في غيرها بمُنْبَثٍّ، فقالت فرقة: هما سواء، وقالت فرقة: المُنْبَثُّ: أرَقُّ وأَدَقُّ من المنثورِ، لأَنَّ المنثورَ يقتضي أَنَّ غيره نَثَرَهُ، والمُنْبَثَّ كأنه انبثَّ من دِقَّتِهِ[4].

ـ بيان معنى لفظة (وشروه):

يعتمد الداودي على جملة من نقول العلماء، ومنهم اللغيون، مثلما نجده في نقله عن أبي عبيدة الهروي عند تفسير قوله سبحانه: ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [يوسف: 20]، فقوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ**﴾ بمعنى: بَاعُوه، فإذا ابتعتَ أَنْتَ، قُلْتَ: (اشتريتُ)[5].

---

[1] أخرجه الطبريّ في تفسيره، (256/19).

[2] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لـ: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي، (ت.542هـ)، في تفسيره المسمى: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1422 هـ)، (352/1)، (206/4).

[3] وقاله مجاهد أيضا، ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (239/5)؛ التسهيل لعلوم التنزيل، لـ: أبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي، (ت.741 هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1416 هـ)، (333/2).

[4] الحسان في تفسير القرآن، (206/4 ـ 207).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (316/3)؛ وهذا الذي أورده الداودي عن أبي عبيدة، هو الذي قرَّرَهُ أَئِمَّة اللُّغَة في مصنَّفَاتهم، ذلك لأنَّ اسم البيع والشِّراء ينطلقُ كلٌّ واحدٍ منهما على الآخر، لأنَّ كلَّ واحدٍ من البائع والمشتري بائعٌ لِمَا في يَدِهِ، مُشْتَرٍ لِمَا في يَدِ الآخر؛ ولمزيد من المعرفة والتفصيل ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، (490/1)؛ قال الجوهري في: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (2391/6): "يقال منه: (شريت الشيء، أشْرِيهِ، شراءً): إذا بِعْتُهُ، وإذا اشتريته أيضًا، وهو من الأضداد، قال الله تعالى: ﴿**ومِن الناس مَنْ يَشْرِي نفسَه ابتغاءَ مَرضاةِ الله**﴾ [البقرة: 207]، أيْ: يبيعها "؛ وكذا قال ابن سيدة في: المحكم والمحيط الأعظم، (100/8)؛ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، (3438/6).

ـ كل شيء في القرآن بلفظ (قتل) معناه: (لَعَنَ)

ذهب الداودي إلى أنَّ كلَّ شيءٍ في القرآن وَرَدَ بلفظ (قتل) معناه: (لعن)، مستندًا في بيان رأيه إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: 30]، حيث ينقل هنا ما ذكره عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بقوله: ﴿**قاتلهم اللَّه**﴾: لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وكلُّ شيءٍ في القُرآن: (قَتَلَ)، فهو لَعْنٌ "[1]؛ فالآيةُ الكريمةُ فيها دعاءٌ عامٌّ عليهم لِأنواعِ الشَّرِّ.

الفرع السابع ــ اعتماده في الفقه على مذهب مالك رحمه الله ــ:

الْتَزَمَ الإمام الداودي في المسائل الفقهية المستنبطة من آيات القرآن الكريم مذهب الإمام ـ رحمه الله ـ، كما هو مشهور العمل به في الغرب الإسلامي، ومنه بلدنا الجزائر، وهو ما نلاحظه:

1 ــ مسألة جواز الحكم بيْنَ أهْل الذمَّة في تظالمهم:

يرى الداودي جواز حكم القاضي المسلم بين أهل الذِّمَّة، من اليهود والنصارى، في تَظَالُمِهِم، عند تفسير قوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [المائدة: 42]، حيث يشير ـ رحمه الله ـ إلى أنَّ قوله تعالى: ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ ﴾ [المائدة: 42]: تخييرٌ من الله تعالى لِلنَّبيِّ ﷺ، ولحكَّامِ أُمَّتِهِ بعده أن يحكموا بيْنَ أهْل الذمَّة في تظالمهم؛ ويستأنس الإمام الداودي بما ذكره عن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ بقوله: "قال مالك: ولا يَحْكُمُ بينهم، إذا اختار الحكم إلَّا في المظالم، فَيَحْكُم بينهم بما أنزلَ اللَّهُ، ولا يحكم فيهم في الزِّنَا، إلَّا أنْ يعلنوه، فيعاقَبُونَ بسبب إعلانه، ثم يردُّون إلى أساقفتهم، قال مالك: وإنَّما رَجَمَ النبيَّ ﷺ اليهوديَّيْنِ قبل أنْ تكون لهم ذمَّة "[2]، انتهى.

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (176/3).

[2] المصدر نفسه، (384/2).

وعلى هذا، فإنَّ هذه الآية الكريمة محكمةٌ عند أغلب العلماء، وهو الأظهر، حسبما قرَّرَهُ الإمام الثعالبي، حيث يقول مضيفًا: "وفِقْهُ هذه الآية أنَّ الأَمَّة مُجْمِعَة فيما علمتُ على أنَّ حاكم المسلمين يحْكُمُ بيْنَ أهْل الذمَّة في تظالمهم، وأمَّا نوازل الأحْكَام التي لا تَظَالُمَ فيها، فالحاكمُ مخيَّر، وإذا رضي به الخَصْمان، فلَابُدَّ مِن رِضَا أساقِفَتِهِمْ أو أحبارهم، قاله ابن القاسِمِ في (العتبية)"[1].

2 ــ حرمة إتيان النساء في المحيض:

ذهب الإمام أحمد بن نصر الداودي إلى حرمة إتيان النساء في المحيض، ووجوب اعتزالهنَّ في الجماع، لِمَا يترتَّب على ذلك من أمراضٍ في حقِّ الزَّوْجَيْنِ، وهو ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: 222]، وهو في ذلك موافق لِمَا قرره جمهور العلماء، على اعتبار أنَّ وَطْءَ الزوجة في الدَّمِ ذنْبٌ عظيمٌ يتاب منْه، ولا كفَّارة فيه بمالٍ، استنادًا منه إلى ما رُوِيَ أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: « **اتَّقُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ فَإِنَّ الجُذَامَ يَكُونُ مِنْ أَوْلَادِ المَحِيضِ** »[2][3].

3 ــ حرمة الميسر:

ذهب الداودي إلى أنَّ الميسر لفظةٌ تُطلَقُ على القمار كلُّه، وهو ما ينقله قولًا عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ حسبما يشير إليه الثعالبي في تعليقه عليه، وهذا ما الحكم الشرعي يذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَاۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [البقرة: 219]، فكلُّ قمارٍ مَيْسِرٌ، سواء كان مِنْ نَرْدٍ أو شِطْرَنْجٍ، ومن هنا فإنَّ اللَّه عزَّ وجلَّ أعلم نبينا الكريم أن يخبر الناس جميعا أنَّ الإثم الناتج عن شرب الخمر واللعب الميسر أَكْبَرُ من نفْعهما، ويعود بالضَّرر في الآخرة، فهذا هو التقدمة للتحريم[4]؛ وعليه، فإنَّ الإثم فيهما بعد التحريم، والمنفعةُ قبله.

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (384/2)؛ والحكمة في إنفاذ النبيّ ﷺ الحُكْمَ بينهم ــ حسبما يذكره الإمام ابنُ العربيِّ في تفسيره (أحكام القرآن)، (123/2): " لِيُحَقِّقَ تَحْرِيقَهُم، وتبديلَهُم، وكَذِبَهم، وكَتْمَهُمْ ما في التوراة، ومنه صِفَتُهُ ﷺ، والرَّجْمُ على زُنَاتِهِمْ، وعنه أخبر اللَّه تعالى بقوله: ﴿**يا أَهْلَ الكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [المائدة: 15]، فيكون ذلك من آياته الباهرة، وحُجَجِهِ البيِّنة، وبراهينِهِ القاطعةِ الدَّامغة للأَمَّة المُخْزية اليهودية والمشركين".

[2] الحديث ذكره السيوطي في: الدر المنثور، (259/1)، وعزاه لابن المنذر.

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (447/1).

[4] ينظر: المصدر نفسه، (444/1).

4 ــ استحباب صلاة المؤمن بعد زوال الشمس:

يرى الداودي استحباب صلاة المؤمن بعد زوال الشمس، تنبيهًا منه إلى أنَّ الصالحينَ من عباد الله تعالى كانوا يستحبُّون الصلاة في ذلك الوقت، استنادا لِمَا وَرَدَ في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[النحل: 48]، وعملًا بما ورد في السنة المطهَّرة عن عمر بن الخطاب ﷺ النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: « **أَرْبَعٌ قَبْلَ الظُّهْرِ بَعْدَ الزَّوَالِ تُحْسَبُ بِمِثْلِهِنَّ فِي صَلاَةِ السَّحَرِ**»، قَالَ: « **وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ اللهَ تِلْكَ السَّاعَةِ**»، وقرأ: ﴿**يَتَفَيَّؤُا ظِلالُهُ عَنِ اليَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ...**﴾، الآية كلُّها"[1][2].

وهذا التفسير يؤكِّد لَنَا اعتماد الداودي على النصوص الشرعية، من آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم في بيان معاني كلام الله تعالى[3].

5 ــ حثّ الرجل أهله بإقامة الصلاة وملازمتها:

ومن الأمثلة الدالة على اعتماد الداودي على الروايات الحديثية التي يرويها الصحابة: استناده في مسألة حثّ الرجل أهله بإقامة الصلاة وملازمتها والحرص عليها في أوقاتها، إلى قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه: 132]، مُورِدًا ـ في الوقت نفسه ـ ما يرويه الصحابي الجليل عبد الله بن سلام ﷺ قال: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا نَزَلَ بِأَهْلِهِ ضَيْقٌ أَوْ شِدَّةٌ أَمَرَهُمْ بِالصَّلاَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ...﴾ إلى قوله: ﴿...لِلتَّقْوى﴾**»[4][5].

---

[1] أخرجه الترمذي في: سننه، كتاب التفسير، باب: ومن سورة النحل، (299/5) برقم: (3128)، من حديث عمر، وقال الترمذي: " هذا حديثٌ غريبٌ، لا نعرفه إلَّا من حديث عليِّ بن عاصم ".

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (427/3).

[3] أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب: ومن سورة النحل، (299/5)، برقم: (3128) من طريق علي بن عاصم، عن يحيى البكاء، حدثني عبد الله بن عمر، عن عمر بن الخطاب به؛ وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن عاصم؛ وذكره السيوطي في: الدر المنثور، (224/4)، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

[4] أورده مكي في: الهداية إلى بلوغ النهاية، (4720/7)؛ وأبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدَّمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1415هـ ـ 1994م)، عدد الأجزاء: (4)، (228/3)؛ وفخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (ت.606 هـ) في: مفاتيح الغيب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط.3، (1420 هـ)، (116/22).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (75/4).

ونخلص من هذا، إلى الاستفادة من قاعدةٍ مُهِمَّةٍ من قواعد أصول الفقه، المطبَّقَة مِن قِبَلِ المفسِّرين في استنباط الأحكام الشرعية، وهي أنَّ الخطاب لرسول الله ﷺ، هو خطاب لعموم أُمَّتِه، ذلك لِأَنَّ الله سبحانه وتعالى أمر نبينا الكريم محمَّدًا ﷺ بأنْ يَأْمُرَ أَهْلَهُ بالصَّلَاة، ويَمْتَثِلَها مَعَهُمْ، ويَصْطَبِرَ عليها، ويُلَازِمَهَا، وتَكَفَّل هو تعالى برزْقِهِ لَا إله إلاَّ هو، وأخبره أنَّ العَاقِبَةَ لِلمتَّقِينَ بنصره في الدنيا، ورحمته في الآخرة، فهذا الخطاب إِذَنْ لِلنَّبيِّ ﷺ، ويَدْخُلُ في عُمُوْمِهِ جميعُ أمَّتِه[1].

المطلب الثاني ــ بيان بعض أهمّ آرائه الصادرة عنه:

لاحظت من خلال جمعي للنصوص الواردة عن الإمام الداودي ـ رحمه الله ـ أنها شملت أيضًا الجانب العقدي والأصولي وغيرهما من المسائل العامة المتعلقة بتفسير كلام الله تعالى، وهي في الغالب منقولة عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ خاصة منهم عبد الله بن عباس، وكذا بعض أهمّ التابعين، كمجاهد وسعيد ابن جبير وغيرهما، وقد حاولت أنْ أُرَتِّبَهَا بالشكل الآتي، فجعلتها في فروع، وهي:

الفرع الأول ــ مسائل التوحيد المتعلقة بباب الألوهية:

1 ــ الآيات الكونية الدالة على توحيد الله تعالى:

تحتلُّ مسألة توحيد الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له الأولوية في فكر كلّ مؤمن موحِّدٍ، لذلك يستند المفسّرون إلى كلّ الآيات القرآنية التي تضمَّنَت العِبْرَةَ والدلالةَ على قدرة اللَّه تعالى، وما يُوجِبُ توحيدَهُ وعبادَتَهُ، والداودي كغيره من هؤلاء المفسِّرين، ينقل عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ما ورد في إرسال الله تعالى للرياح الملْقِحَة لِلنَّبَاتِ، والمساعدة على نزول الماء المغيث للعباد، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ٢٢ ﴾ [الحجر: 22]، حيث يشير الداودي إلى أنَّها ثمانية أنواع، منها ما هو للرحمة، ومنها ما هو للعذاب، بقوله: "وعن ابن عمر: الرِّياحُ ثمانٍ، أرْبَعٌ رحْمَةٌ، وأربعٌ عذابٌ فـ(الرحمةُ): (المرسلاتُ)، و(المُبَشِّرات)، و(النَّاشِرَاتُ)، و(الذَّاريات)، وأمَّا (العذاب): فـ(الصَّرْصَرُ)، و(العقيمُ)، و(القاصِفُ)، و(العَاصِف)، وهما في البَحْر "[2].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (75/4).

[2] المصدر نفسه، (398/3).

2 ــ ذكر الله تعالى يكون بطاعته سبحانه وتعالى:

يذهب الداودي إلى أنَّ ذكر الله تعالى يكون بطاعته، وهو ما يستحقُّ عليه العبدُ الثوابَ الجزيلَ، وهذا المعنى يشير إليه عند قوله تعالى: ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ ﴾ [البقرة: 152 ـ 153]، حيث يورد الداودي قول سعيد بن جُبَيْر في معنى الآية الكريمة بقوله: "اذكروني بالطاعةِ، أذكركم بالثواب"[1]؛ وينقل عنه الإمام الثعالبي قولا ثانيًا عن ابن جبير ـ رحمه الله ـ في تدخُّلِه تعليقًا عنه، بقوله: "اذكروني بطاعتي، أذكرْكُمْ بمغفرتي"[2]؛ وهذا القول الثاني هو ما يعرف عند علماء القرآن بقاعدة اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد، فلا تعارض إذن بين القولين.

3 ــ معنى سؤال إبراهيم عليه السلام للهِ تعالى بإحياء الموتى:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٦٠ ﴾ [البقرة: 260]، ينقل الداودي فيها قول سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ أنَّ قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِنْ**﴾، معناه: "أَوَلَمْ تُؤْمِنْ بالخُلَّة[3]"؛ وهذا قول من بين أقوال أخرى وردت في العبارة، أوردها الثعالبي ـ رحمه الله ـ[4]؛ ومنها ما قاله نقلا عن ابن عطية في تفسيره[5]: معناه: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ إيمانًا مطلقًا، دخل فيه فصْل إحياء الموتى؛ ونقل أيضا عن الصفاقسي قوله:

---

[1] وهذا القول أورده الإمام ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (226/1)؛ والثعالبي في تفسيره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (334/1).

[2] وهذا الذي ذكره الداودي، يقرِّرُه الثعالبي بما يورده من الرواية الواردة عن النبيّ ﷺ أنَّه قال: « **مَنْ أَطَاعَ اللَّه، فَقَدْ ذَكَر اللَّه، وإِنْ قَلَّت صلاته، وصيامه، وتلاوته القُرآن، ومن عَصَى اللَّه، فقد نَسِيَ اللَّه، وإن كَثُرتْ صلاته، وصيامه، وتلاوته القرآن** »؛ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، (154/22)، برقم: (413)، من طريق الهيثم بن جماز عن الحارث بن حسان، عن زاذان عن واقد مولى رسول الله ﷺ به مرفوعا؛ وذكره أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (ت.807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ـ مصر، (1414هـ ـ 1994م)، عدد الأجزاء: (10): في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (261/2)، وقال: وفيه الهيثم بن جماز، وهو متروك؛ والمتقي الهندي في: كنز العمال، (446/1)، برقم: (1924)، وعزاه إلى الحسن بن سفيان، والطبراني، وابن عساكر عن واقد؛ وللحديث شاهد مرسل: أخرجه البيهقي في: شعب الإيمان، (452/1)، برقم: (687).

[3] أخرجه الطبري في: تفسيره، (50/3)؛ وابن عطية الأندلسي، في: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، (352/1).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (513/1).

[5] ذكره ابن عطية الأندلسي في: المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز، (353/1).

"الهمزة في ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ للتقرير، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح:1]، وكقوله [الوافر][1]:

..... * أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا

4 ــ بيان معنى اسم الله (المقيت):

يذكر الداودي ـ رحمه الله ـ معنى اسم الله (المقيت)، الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ٨٥ ﴾ [النساء: 85] ما ذكره الكلبي بقوله: "(المَقِيتُ): هو المُقْدِرُ بلُغَة قُرَيْشٍ"؛ وهذا أيضا قولٌ من بين الأقوال الوارد في معنى هذا الاسم الكريم الجليل؛ ومنها ما أورده الثعالبي بقوله: "و(مُقِيتًا) معناه: قديرًا، ومنه قولُ الزُّبَيْر بْنِ عبدِ المُطَّلِبِ[2] [بحر الوافر]:

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْه * وَكُنْتُ عَلَى إسَاءَتِـهِ مُـقِـيـتَـا

أيْ: قديرًا؛ وقيل: (مُقِيتًا) معناه: شهيدًا؛ وقيل: حفيظًا؛ وذهب مقاتلٌ إلى أنه: الذي يَقُوتُ كلَّ حيوان "[3].

ونلاحظ هنا بدقَّة فائدةَ إعمالِ قاعدة (اختلاف التنوُّعِ، لا اختلاف التضادِّ)، التي أصَّلَها علماء التفسير، فهي مفيدة جدًّا في فهم كلام الله تعالى، بناءً على إمكانية الجمع بين هذه الأقوال، فلا تعارض بينها على الحقيقة، وإنَّما تُكمِّلُ بعضَها بعضًا.

5 ــ معنى اسم الله ذو الجلال:

يُقرِّرُ الداودي ـ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ ﴾ [الرحمن: 26 ـ 27]، نقلًا عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّ اسم الله (ذو الجلال) معناه: " ذو العظمة والكبرياء "[4].

---

[1] صدر بيت لجرير، وعجزه: (..... * **وَأَنْدَى العَالَمِينَ بُطُونُ رَاحِ**)؛ وهو من قصيدة مدح بها عبد الملك بن مروان مطلعها:

أَتَصْحُو بَلْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحِ... عَشِيَّةَ هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّوَاحِ

[2] ينظر البيت في: جمهرة اللغة، لـ: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت.321 هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1987م)، عدد الأجزاء: (3)، (407/1)؛ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (262/1).

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (271/2).

[4] وعليه، فإنّه يمكننا أن نَسْتَشِفَّ من قول الداودي في تقرير معنى اسم الله (ذو الجلال)، أنّه كسائر علماء أهل السنة يذهب إلى أنَّ كلّ ما على الأرض فانٍ، وأنَّ الإشارة بالفناء في الآية الكريمة إلى جميع الموجودات على الأرض من حيوان وغيره، وأنَّ الوجه: عبارة عن الذَّاتِ، لأَنَّ الجارحة منفيَّةٌ في حَقِّه سبحانه، حسبما أورده الثعالبي في تفسيره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (351/5).

6 ــ بيان حقيقة مشيئة الله تعالى:

يرى الداودي أنَّ مشيئة الله تعالى نافذةٌ في الكَوْنِ كُلِّهِ، فما شاء كان، وما لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وهذه تسمَّى المشيئة الكونية، وهي لا تتعارض مع المشيئة الشرعية التي بها أقدرَ العبادَ بها على الفِعْلِ والتَّرْكِ، حيثُ تَرَكَ لهمُ الاختيارَ بين الهدى والضلال، والإيمان والكفر، وتبعا لذلك يتحمَّل الإنسان مسئوليةَ فِعْلِه، وعليها يثابُ أو يعاقبُ، وهذا المعنى نراه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩ ﴾ [الكهف: 29]، وهذه الآية الكريمة فيها توعُّد وتهديد لمن اختار الكفر على الإيمان، أيْ: فَلْيَخْتَرْ كُلُّ امرئٍ لِنفسه ما يجدُه غدًا عند اللَّه عزَّ وجلّ؛ وتبعا لذلك يذكر الداودي حقيقة المشيئة الكونية، بما نقله عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾، يقول: "من شاء اللَّهُ له الإيمانَ، آمَنَ؛ ومَن شاءَ له الكفرَ، كفرَ، هو كقوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩ ﴾ [التكوير: 29][1]؛ وقال غيره: هو كقوله: ﴿**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**﴾ [فصلت: 40] بمعنى: الوعيد، والقَوْلَانِ مَعًا صحيحان "[2].

وهذا التفسير منه ـ رحمه الله تعالى ـ هو الذي أجمع عليه أئمة الإسلام من أهل السُّنَّة والجماعة، وبه نأخذ.

الفرع الثاني ــ مسائل متعلقة بالنبوَّة، وقَفْتُ فيها على مسألتين، هما:

1 ــ رأيه في عصمة الأنباء والرسل عن الوقوع في كبائر الذنوب:

ذهب الداودي ـ رحمه الله ـ إلى القول بعصمة الأنبياء والرسل من الوقوع في كبائر الذنوب والمعاصي المخلَّة بعلو منصبهم وجلالة قدرهم، وهذا ما نلاحظه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ ﴾ [يوسف: 24]، حيث ينقل عن سعيد بن الحداد قوله أنَّ: "في الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ، ومعناه: أنَّه لَوْلَا أنْ رأَى برهان ربِّه لَهَمَّ بها، فلمَّا رأى البرهان لم يَهِمَّ "[3].

---

[1] أخرجه الطبري في تفسيره: جامع البيان في تأويل القرآن، (10/18)؛ وابن أبي حاتم في: تفسيره، (2358/7)، برقم: (12783).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (522/3).

[3] المصدر نفسه، (320/3).

وهذا الذي ذكره الداودي، هو الذي قرَّرَه القاضي عياض ـ رحمه الله ـ حيث ساقَ هذا القولَ مساقَ الاحتجاجِ به في كتابه (الشفا في بيان حقوق المصطفى)[1]، وتُؤكِّدُه الآيةُ الكريمة، في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف: 32].

ويوافقه في هذا ما قرَّرَهُ الإمام ابن العربي في تفسير المسمى بـ(أحكام القرآن)[2]، بقوله: "وقد أخبر اللَّه سبحانه عن حالِ يوسُفَ من حين بلوغه بأنه آتاه حكماً وعلمًا، و(الحُكْم): هو العَمَلُ بالعِلْمِ، وكلامُ اللَّه صادِقٌ، وخبره صحيحٌ، ووصفه حَقٌّ، فقد عَمِلَ يوسُفُ بما عَلَّمه اللَّه من تحريم الزنا، وتحريم خيانةِ السيِّد في أهْله، فما تعرَّض لامرأةِ العزيز، ولا أناب إلى المُرَاودة، بل أَدْبَرَ عنها، وَفَّر منها حِكْمَةٌ خُصَّ بها، وعملٌ بما علَّمه اللَّه تعالى، وهذا يطمس وُجُوهَ الجَهَلَةِ مِنَ النَّاس والغَفَلَةِ من العلماءِ في نسْبتهم إلى الصِّدِّيقِ ما لا يليقُ به"[3].

2 ــ بيان رأيه أنَّ كُلَّ شانئٍ مبغضٍ لِرَسُولِ الله ــ عليه السلام ــ مطرودٌ مِن رحمةِ الله تعالى:

ذهب الإمام الداوديُّ في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّ شانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر: 3]، إلى أنَّ: "كلُّ شَانِيءٍ لرسول الله ﷺ فهو أبْتَرُ، لَيْسَ له يَوْمَ القيامة شَفِيعٌ ولا حميم يطاع "[4].

فهذه الآية الكريمة إذَنْ ردٌّ على مقالةِ بَعْضِ المبغضين لرسول الله ﷺ من سفهاءِ قريشٍ، كأبي جهل وغيرِه، قال عكرمة وغيره: "ماتَ وَلَدٌ لِلنَّبيِّ ﷺ، فقال أَبُو جَهْلٍ: بُتِرَ مُحَمَّدٌ، فنزلت السُّورةُ"؛ فهذا الشَّانِئُ هو المقطوعُ المبتورُ من رحمة الله تعالى[5].

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لـ: أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ت.544 هـ)، مُذَيَّلًا بالحاشية المسمَّاة: (مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء)، لـ: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، (ت.873 هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، (1409هـ ـ 1988م)، عدد الأجزاء: (2)، (165/2).

[2] أحكام القرآن، لـ: القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، (ت.543 هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.3، (1424هـ ـ 2003م)، عدد الأجزاء: (4)، (47/3).

[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (320/3).

[4] المصدر نفسه، (633/5).

[5] ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لـ: ابن عطية الأندلسي، (530/5).

الفرع الثالث ــ مسائل المتعلقة بالسمعيات (الغيبيات)

1 ــ بيان معنى لفظة (الروح):

ذهب الداودي في بيان معنى لفظة (الرُّوح) الواردة في قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [النحل: 2]، إلى أنّه: "خَلْقٌ من خلق الله، وأمرٌ من أمر اللَّه عَلى صُوَرِ بني آدم، وما يَنْزِلُ من السماءِ مَلَكٌ إلا ومعه رُوحٌ كالحفيظ عليه، لا يتكلَّم ولا يراه مَلَك، ولا شيءٌ مما خَلَقَ اللَّه "[1]، ونسبه قولًا إلى عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنهما ــ.

والحقيقة أنَّ المفسرين قد اختلفوا في معناها إلى أقوال أخرى، منها ما قول مجاهد أنها: النبوّة، وقال ابن عباس: الرُّوحُ الوحْيُ، وقال قتادة: "بالرحمةِ والوحْي"، وقال الربيع بنُ أنَسٍ: "كلُّ كلام اللَّه رُوحٌ"، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى: 52]، وقال الزَّجَّاج[2]: الرُّوح: ما تَحْيَا به القلوبُ من هداية اللَّهِ عزَّ وجلَّ؛ وهذا قولٌ حَسَنٌ، وعن مجاهدٍ: (الرُّوح): "خَلْق من خَلْق اللَّه، لهم أيدٍ وأرجلٌ"[3].

والراجح في المسألة أنَّ ينظر في هذه الأقوال ما صحَّ منها؛ فيؤخذ به؛ وما بَطُلَ فَيُرَدُّ؛ وهذا الذي رجَّحَه الإمام الثعالبي بقوله: "واللَّه أعلم بحقيقةِ ذلك، وهذا أمرٌ لا يقَالُ بالرأْيِ، فإنْ صحَّ فيه شيءٌ عن النَّبِيِّ ﷺ، وَجَبَ الوقوفُ عنْده "[4]؛ وإلَّا فَلَا.

2 ــ فوقية المؤمنين يوم القيامة:

يشير الداودي إلى مسألة فوقية المؤمنين يوم القيامة، عند قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢١٢ ﴾ [البقرة: 212]، حيث يورد الثعالبي ــ نقلًا عنه ــ حكايته عن التابعي الجليل قتادة في بيان معنى الآية الكريمة: أنَّ فوقية المؤمنين يوم القيامة وهُمْ في الجنَّة فوق هؤلاء الكافرين[5]؛ وفي

---

[1] أخرجه الطبري (558/7) برقم: (21451)، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (205/4)، وعزاه لآدم بن إياس، وسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي.

[2] ينظر: معاني القرآن، للزجاج، (190/3).

[3] ينظر هذه الأقوال في: جامع البيان في تأويل القرآن، لـ: أبي جعفر الطبري، (166/17)؛ وابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (378/3).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (410/3 ــ 411).

[5] يعلِّقُ الثعالبي في تفسيره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (430/1)، على هذه الفوقية الواردة في الآية الكريمة بقوله: " فإن تشوَّفَتْ نفسُك أيها الأخُ إلى هذه الفوقيَّة، ونَيْلِ هذه الدرجة العَلِيَّة، فارفض دنياك الدنيَّة، وازهَدْ فيها بالكليَّة لتسلَمَ من كل آفة وبليَّة، واقتد في ذلك بخَيْر البريَّة ".

المسألة رأي آخر للمفسِّرين غير هذا الذي ذكره الداودي، حيث يذهب قائلوه إلى أنَّ (الفوقيَّة) هنا معناها: الفوقية في الدرجَةِ والقَدْر؛ ويحتمل أن يريد أنَّ نعيم المتَّقِينَ في الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن؛ وهذه الأقوال كلُّها صحيحة، تدخل تحت اختلاف التنوُّع، لا اختلاف التضادّ.

والإشارة ـ في هذه الآية الكريمة ـ إلى كفار قريشٍ، لأنَّهم كانوا يُعَظِّمُونَ حالَهُم من الدنيا، ويغتبطون بها، ويسخرون من أتْبَاعِ النبيِّ ﷺ، كـ: بلالٍ الحبشي، وصُهَيْبٍ الرومي، وعبد الله بنِ مَسْعودٍ ـ رضي الله عنهم ـ، وغيرهم، فذكر اللَّه قبيح فعل هؤلاء الكفرة، ونَبَّهَ على خفض منزلتهم بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ ﴾ [البقرة: 212][1].

3 ــ دخول الجنِّ الجنةَ وثوَابُهُم فيها:

يعتقد الإمام الداودي، كغيره من علماء الإسلام، أنَّ الجنَّ المؤمنون بالله تعالى ورسله وشرائعه يدخلون الجنة ويُنَعَّمُونَ فيها، استنادًا إلى آيات القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوِيَّة الشريفة، كما هو الشأن عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢ ﴾ [الأنعام: 130 ـ 132]، حيث يخبر اللَّه سبحانه وتعالى فيها أنَّ المؤمنين في الآخرة على درجاتٍ من التفاضُل بحَسَب أعمالهم، وتفضُّل المولى سبحانه عليهم، ولكنْ كلٌّ راضٍ بما أعطِيَ غايةَ الرضا؛ والمشركون أيضًا على دركاتٍ من العذابِ؛ ويستأنس الداودي هنا بما نقله عن التابعي الشهير الإمام الضحاكُ بقوله: "مِنَ الجنِّ مَنْ يدخل الجنَّة، ويأكل ويشرب "[2].

وهذا الذي ذكره الداودي، هو الذي قرَّرَه أئِمَّةُ الإسلام من المفسِّرين، منهم الإمام الثعالبي، حيث يُعلِّق على هذه المسألة بقوله: "قلتُ: وظاهر الآيةِ أنَّ الجِنَّ يُثَابُونَ ويَنَالُونَ الدَّرَجَاتِ والدَّرَكَاتِ، وقد ترجم البخاريُّ على ذلك، فقال: ذِكْر الجنِّ وثَوَابِهِم وعقابِهِم، لقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ ﴾"[3] [4].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (430/1).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (519/2)؛ وهذا القول ذكره السيوطي في تفسيره، (87/3) ، وعزاه لابن المنذر، وأبي الشيخ في: (العظمة)، عن الضحاك.

[3] ينظر: صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم، (126/4).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (519/2).

4 ــ انقطاع توبة العباد عند ظهور علامات الساعة الكبرى:

يعتقد الداودي ما يعتقده سائر المؤمنون أنَّ توبة العباد تنقطع بظهور علامات الساعة الكبرى، وهي جميعَ ما يُقْطَعُ بوقوعه من أشراط الساعة، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: 158]؛ وعلى رأس هذه الآيات الكبرى: طلوع الشمْسِ من مغربها؛ فحينها لا يَنْفَعُ الكافرون بالله تعالى جميعَ أعمال البِرِّ التي قَدَّمُوهَا في حياتهم؛ وأنَّ العُصَاة من المؤمنين أيضًا لَا تُقْبَلُ توبتهم، وهم في مشيئة الله تعالى، وهذا المعنى هو الذي يذكره الداودي بقوله: "قوله تعالى: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ ﴾، يريد: أنَّ النَّفسَ المؤمنةَ التي ارتكبت الكبائر لا تُقْبَلُ منها التوبة يومئذ، وتكونُ في مشيئة اللَّه تعالى كأنْ لَمْ تَتُبْ؛ وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ: « إذا خرجَتْ أوَّلُ الآيات، طُرِحَتِ الأقلامُ، وحُبِسَتِ الحَفَظَةُ، وشَهِدَتِ الأجساد على الأعمال »[1].

فالآية الكريمة المشارُ إليها تقطعُ توبةَ الصِّنْفَيْنِ، الكافريين بالله تعالى، وعصاة المؤمنين الذين لم يتوبوا حينها.

5 ــ دعوى المؤمنين وتحيتهم في الجنان:

يعتقد الإمام الداودي أنَّ تنزيه الله تعالى يكون على الداوم، أبد الآباد، كما يكون في الدنيا، يكون في الآخرة، في جنَّات النعيم، وهو المعنى المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [يونس: 10]، حيث ينقل الداودي عبارةً رائقةً عن ابن جريج، حينما يشتهي المؤمنون أنواعًا من المأكولات في الجنَّة، فإذا "مَرَّ بهم الطائرُ يَشْتَهُونه، كان دعواهم به: ﴿**سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ**﴾، فيأكلون منه ما يَشْتَهُونَ، ثم يطيرُ، وإذا جاءتهم الملائكةُ بما يَشْتَهُونَ، سَلَّمُوا عَلَيْهم، فذلك قولُهُ: ﴿**وَتَحِيَّتُهُمْ فِيها سَلامٌ**﴾، وإذا أَكلوا حاجتهم، قالوا: (الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ)، فذلك قوله: ﴿**وَآخِرُ دَعْواهُمْ أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ**﴾ "[2].

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (2/532 ـ 533).

[2] المصدر نفسه، (3/238).

6 ــ توفية الله تعالى نصيب الكفار يوم القيامة:

يذكر الداودي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ ١٠٩ ﴾ [هود: 109]، أنَّها إشارة إلى كفَّار العرب وغيرهم من الكفرة، وما أعده لهم من العقوبة، وأنَّ توفية نصيبهم غير المنقوص في الدنيا حسبما نقله عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو: "ما قُدِّر لهم من خَيْرٍ وشرٍّ "[1]، انتهى[2].

7 ــ حور العين محجوبَاتٌ مَصُونَاتٌ في خيامُ الجَنَّةِ:

يذهب الداودي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ٧٢ ﴾ [الرحمن: 72]، إلى أنَّ حور العين محجوبَاتٌ مَصُونَاتٌ في خيامُ الجَنَّةِ، وهي من بُيُوتُ اللؤلؤ، وينقل ـ رحمه الله ـ فيها عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قوله: أنَّ الخيمة لؤلؤة مجوّفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مِصْرَاع "[3].

الفرع الثالث: مسائل تفسيرية عامة:

1 ــ التعاون على البر والتقوى:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢ ﴾ [المائدة: 2]، ينقل فيها الإمام أحمدُ بْنُ نصر الداوديّ ما ذكره عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في بيان معنى البر والتقوى، بقوله: "البِرُّ ما أُمِرْتَ به، والتقوى ما نُهِيتَ عنه"[4]؛ وعند بعض المفسّرين الآخرين فإنَّ (البِرِّ) و(التقوى)، اللَّذَانِ أمر الله سبحانه جميع خلقه بالتعاون عليهما، هما لَفْظَانِ مترادِفَانِ وَرَدَا بِمعنًى واحدٍ؛ وفي ذلك تَسَامُحٌ، حسبما ذكره الإمام الثعالبي، إذ العُرْفُ السائِدُ عند أهل الاختصاص في دلالةِ هَذَيْنِ أنَّ (البِرَّ) يَتَنَاوَلُ الواجبَ والمَنْدُوبَ؛ و(التقوى): رعايةُ الوَاجِبِ، فإنْ جُعِلَ أَحَدُهُمَا بَدَلَ الآخَرِ، فَبِتَجَوُّزٍ[5].

---

[1] أخرجه أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، المتوفى سنة (161 هـ)، في: تفسيره، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (1403 هـ ـ 1983م)، (ص/135)؛ ابن أبي حاتم في: تفسيره، (1474/5)، برقم: (8440)؛

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (303/3).

[3] المصدر نفسه، (357/5).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (339/2)؛ وقول ابن عباس أعلاه أخرجه الطبري في: تفسيره، (406/4).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (239/2)؛ قال الغزاليُّ في كتابه: المنهاج: "(التقوى) في القرآن تُطْلَقُ على ثلاثة أشياء: **أحدها:** بمعنى الخشية والهيبة قال الله عز وجل: ﴿**وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**﴾ [البقرة: 41]؛ وقال سبحانه: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: 281]؛ و**الثاني:** بمعنى الطاعة والعبادة قال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ [آل عمران: 102]؛ قال ابن عباس: أطيعوا الله حَقَّ طاعته؛ وقال مجاهد: "هو أنْ يُطَاع فلا يُعْصَى، وأنْ يُذْكَر فلا يُنْسَى، وأنْ يُشْكَرَ فلا يُكْفَرَ "؛ و**الثالث:** بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى، دون الأَوَّلَيْنِ، ألا ترى أنَّ الله تعالى يقول: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفائِزُونَ**﴾ [النور: 52]، ذَكَرَ الطاعة والخشية، ثم ذكر التقوى، فعلمتَ أنَّ حقيقة التقوى معنى سوى الطاعةِ والخشيةِ، وهي تنزيهُ القلب عن الذنوب ".

2 ــ معنى التذكير بأيام الله تعالى:

ذهب الداودي إلى أنَّ التذكير بِأيَّامِ الله تعالى، كما يكون بالنِّقَمِ، يكونُ أيْضًا بالنِّعَمِ، وهو المشار إليه في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥ ﴾ [إبراهيم: 5]، حيث يأمر الله تعالى نبيَّه الكريم موسى عليه السلام أنْ يُذَكِّرَ بني إسرائيل بِأيَّام الله تعالى، وهي نِقَمُهُ ونِعَمُهُ، أيْ: أنْ يَعِظَهُم بالتهديدِ بِنِقَمِ اللَّهِ التي أحلَّها بالأُمَمِ الكَافرة قَبْلَهُم، وبالتَّعْديدِ لِنِعَمِه عليْهِم، وعَبَّرَ عن (النِّعَمِ) وَ(النِّقَمِ) بـ(الأيَّامِ)، إذْ هِيَ في أيَّامٍ؛ وفي هذه العبارةِ تعظيمُ هذه الكَوَائِنِ المذَكَّرِ بها، ويَسْتَنِدُ الداودي في بيان رأيه إلى الحديثِ الصحيحِ الذي يرويه عبد بْن عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنهما ـ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ ﴾ [إبراهيم: 5] قَالَ: « بِنِعَمِ اللَّهِ »[1][2].

3 ــ بيان خطورة العزَّة بالإثم:

يتحدَّث الداودي في تفسيره عن خطورة العزَّة بالإثم التي يقع فيها الكفرة والمنافقين البعيدين عن منهج الله تعالى وأحكامه، الواردة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝٢٠٦ ﴾ [البقرة: 206]، حيث يشير في تفسيره لهذه الآية الكريمة عن صفة الكَافِرِ والمنافقِ الذاهِبِ بنَفْسِهِ زَهْوًا، ويحذِّر المؤمنَ أنْ يُوقِعَهُ الحَرَجُ في نحو هذا، مُورِدًا ـ في الوقت نفسه ـ إلى أنَّه يكفي الإنسانَ إثمًا أنْ يقول له أخُوهُ: اتق اللَّهَ، فيقول له: عَلَيْكَ نَفْسَكَ، مِثْلُكَ يُوصِينِي؟!، وهذا منه تنبيهٌ صريحٌ إلى خطورة اعتزاز الكافر والعاصي لله تعالى بنفسه، بغير وجه حقٍّ، ولا مُسَوِّغٍ شَرْعِيٍّ، حيث تُسَوِّلُ لهُ نفسُه وتأخذُه مَنَعَتُه وشدَّته الناتجة عن اعتزاز نفسه، فَتُوقِعُهُ تلك العزةُ في الإثم والذنب وسائر المعاصي، المفضية إلى جهنَّم ـ والعياذ بالله ـ، ويا سوء هذا المهاد الذي مهَّد به هذا الكافرُ لنفسه، كأنّه الفراش الذي ينام فيه.

ويستدلُّ الداودي في بيان خطورة العزَّة بالإثم التي تأخذ هذا الكافر والعاصي، حسبما يرويه الثعالبي عنه في تعليقه، عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بقوله: « من أكبر الذنبِ أنْ يقال للرجل: اتَّقِ اللهَ، فيقول: عليك نفسك، أنت تأمرني؟! »[3][4].

---

[1] أخرجه أحمد في: مسنده، (66/35)، برقم: (21128).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (375/3).

[3] أخرجه الطبراني في: المعجم الكبير، (113/9)، برقم: (8587)؛ والبيهقي في: شعب الإيمان، (510/10)، برقم: (7896)؛ والهيثمي في: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (7/ 271)، برقم: (12162)، ثم قال: " رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح ".

[4] ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (427/1).

4 ــ الخوف من مقام الله يوم القيامة:

أشار الداودي إلى مسألة تمكين الله تعالى لعباده المؤمنين في الأرض، فهم الذين يعمرونها بطاعة الله تعالى وعبادته حقَّ العبادة، الوارد في قوله تعالى: قوله تعالى: ﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم: 14]، وأنَّ سببَ ذلك هو استشعارهم بأهمية الخوف من مقامِ الله يوم القيامة، ووعيده لمن خالَفَ أمْرَه، لِمَا يترتب على ذلك من الحساب العسير، ولذلك يذكر ما نقله عن أبي عُبَيْدةَ في بيان معنى قوله تعالى: ﴿**لِمَنْ خافَ مَقامِي**﴾: "مَجَازُهُ حيثُ أَقيمُهُ بَيْنَ يَدَيَّ للحسابِ"؛ وهناك رأيٌ ثَانٍ في معنى الآية الكريمة، ذكره الإمام عبد الحقِّ في كتابه (العاقبة) نقلا عن الربيع بن خَيْثَمٍ بقوله: "مَنْ خافَ الوعيدَ، قَرُبَ عليه البعيد، ومَنْ طال أمله، ساء عمله "[1]؛ وباقي الآية بَيِّنٌ[2].

5 ــ تحقيقه في مسألة نزع القرآن من الصدور قبيل قيام الساعة:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦ ﴾ [الإسراء: 86]، رأى الداودي أنَّ القولَ بأنَّ القرآن الكريم سَيُنْزَعُ من صدور العباد قُبَيْلَ القيامةِ غيرُ صحيحٍ، حيث يذكر ما روي عن ابن مسعود من أنه: « **سَيُنْزَعُ القرآنُ من الصدور، وتُرْفَعُ المصاحف** »[3]، أنَّه لَا يَصِحُّ؛ وإنَّما قال سبحانه: ﴿**وَلَئِنْ شِئْنا**﴾، فلم يشأ سبحانه، وفي الحديث عنه ﷺ: « **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ**»[4].

وقوَّى الداودي كَلَامَهُ في بيان هذه الطائفة الظاهرة قبيل القيامة، بما نقله عن الإمام البخاري بقوله: "قال البخاريُّ: (وهم أهل العِلْم)، ولا يكون العلمُ مَع فَقْدِ القرآنِ"[5].

---

[1] العاقبة في ذكر الموت، لـ: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بـ(ابن الخراط)، (ت.581 هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر، الناشر: مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط.1، (1406هـ ـ 1986م)، عدد الأجزاء: (1)، (ص/82).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (376/3).

[3] ذكره ابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (482/3).

[4] أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم، (234/1)، برقم: (100)، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب: قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» يقاتلون وهم أهل العلم، (101/9)، برقم: (7311)، عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ، ومسلم في: صحيحه، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، (2058/4)، برقم: (2673/13).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (496/3).

وهذا الرأي الذي ذهب إليه الإمام الداودي، قد رجّحه الثعالبي بقوله: "انتهى كلام الداوديّ، وهو حَسَن جدًّا"؛ وعضَّدَه ـ رحمه الله ـ بقوله: "وقد جاء في الصحيح ما هو أبيَنُ من هذا، وهو قوله ﷺ: « **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْتَزِعُ العِلْمَ انْتِزَاعاً وَلَكِنْ يُقْبَضُ العِلْمُ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ...** »[1]، الحديث[2].

6 ــ بيان معنى القبض اليسير:

وعند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الفرقان: 45 ـ 46]، يُفَسِّرُ الداودي القبضَ اليسيرَ الواردَ في الآية الكريمة ـ نقلًا عن التابعي الجليل الضَّحَّاكُ بأنَّ معناه: "الظِّلَّ إذا عَلَتْهُ الشمسُ "[3]، بمعنى: أنَّ قبضه الله تعالى قبضًا يسيرًا، لطيفًا، شيئًا بعدَ شيءٍ، لَا في مرَّةٍ واحدةٍ، بعدما مَدَّ الظِّلَّ بإطلاقٍ، وهو ما بين أوَّلِ الإسفار إلى بُزُوغ الشمس، ومِنْ بَعْدِ مَغِيبِهَا أيضًا وقتًا يسيرًا، فإنَّ في هذين الوقتين على الأَرض كُلِّها ظِلاًّ ممدودًا؛ وَلَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا، ثابتًا، غيرَ متحرِّكٍ، ولا منسوخٍ، لَكِنَّهُ جعلَ الشمسَ ونَسْخِهَا إيَّاهُ، وطَرْدِهَا لَهُ من موضعٍ إلى موضعٍ، دليلاً عليه سبحانه وتعالى، مُبَيِّنًا لوجوده عز وجلَّ، وَلِوَجْهِ العبرة فيه؛ فلولا الشمسُ، حسبما يحكيه الطبري[4]، لم يُعْلَمْ أَنَّ الظِّلَّ شيءٌ، إذِ الأشياء إنَّما تُعْرَفُ بأضدادها[5].

7 ــ بيان معنى الدعاء في قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الفرقان:77]، يذكر الداوديّ ـ رحمه الله ـ عن ابن عيينة أنَّ قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ معناه: لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ إيَّاهُ لتطيعوه"؛ وهذا المعنى صحيح تحتمله الآية الكريمة، غيرَ أنَّ فيها أقوالًا أخرى لعلماء التفسير، كلُّهَا داخلةٌ تحت قاعدة اختلاف التنوع، لا اختلاف التضادّ.

---

[1] أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب العلم، باب: كيف يقبض العلم؟، (32/1)، برقم: (100)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ؛ ولفظه عنده بتمامه: قَالَ: " سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا** »؛ ومسلم في: صحيحه، كتاب العلم، باب: رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان، (2058/4)، برقم: (2673).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (496/3).

[3] المصدر نفسه، (211/4).

[4] ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لـ: ابن جرير الطبري، (277/19).

[5] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (211/4)، بتصرُّف.

ومنها ـ كما يذكره الثعالبي ـ: أنَّ الآية الكريمة تحتمل أنْ تكون خطابًا لجميع الناس، فكأنَّه قال لقريش منهم: ما يُبَالِي اللهُ بِكُمْ، ولا يَنْظُرُ إليكم لولا عبادتكم إيَّاه، أَنْ لو كانت، إذ ذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56].

وقال النقاش وغيره: "المعنى: لولا استغاثتكم إليه في الشدائد، وقرأ ابن الزبير «1» وغيره: «فَقَدْ كَذَّبَ الكَافِرُونَ »، وهذا يؤيِّد أَنَّ الخطاب بما يعبأ هو لجميع الناس، ثم يقول لقريش: فأنتم قد كذبتم، ولم تعبدوه، فَسَوْفَ يكون العذابُ أو التكذيب الذي هو سَبَبُ العذابِ لِزَامًا؛ ويحتملُ أنْ يكون الخطابُ بالآيتين لقريش خاصة.

وقال ابن العربي في (أحكامه)[1]: "زعم بعض الأدباء أنَّ ﴿ لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ معناه: لولا سؤالُكم إياه وطلبُكم منه، ورأى أَنَّه مصدر أُضِيفَ إلى (فاعلٍ)، وليس كما زعم، وإنَّما هو (مصدرٌ) أضيف إلى (مفعول)؛ والمعنى: قُلْ يَا محمَّدُ لِلكفَّار: لَوْلَا دعاؤكم بِبعثةِ الرَّسولِ إليكم، وتَبْيِينِ الأدِلَّة لكم، فقد كذَّبْتُم، فَسَوْفَ يكونُ لِزَامًا".

ولهذا يعلِّق الإمام الثعالبي على هذه الأقوال بتدخُّلِه المباشر، بقوله: "والحقُّ أنَّ الآيةَ محتملةٌ لِجميع ما تقدَّم، ومَنِ ادَّعى التخصيصَ فعليه بالدَّلِيل، والله أعلم "[2].

8 ــ حقيقة التوكل على الله تعالى بأنَّ رزقه آت لا محالة:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت: 60]، ينقل الداوديّ عن عليٍّ بن الأقمر[3] قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا**﴾، أيْ: " لا تدخِّر شيئًا لِغَدٍ "[4].

وما أورده الداودي هنا يؤكِّدُه ما رواه الترمذي في سننه عن عمر بْنِ الخَطَّابِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « **لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصاً وَتَرُوحُ بِطَانًا** »[5].

---

[1] ذَكَرَ الإمام ابن العربي هذا في آخر سورة النور، عند تفسير قوله تعالى: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا...**﴾ [النور: 63]؛ ينظر تفسيره: أحكام القرآن، (430/3).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (222/4)، بتصرّف.

[3] هو: علي بن الأقمر بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن عمرو بن الحارث بن ربيعة بن عبد الله بن وادعة من همدان الوادعي الهمداني الكوفي، أبو الوازع، كان صدوقا، ثِقَةً، سمع أبا جحيفة وأبا عطية وعكرمة وأبا الأحوص؛ وروى عنه منصور وسفيان وشعبة بن الحجاج، ومسعر ورقبة بن مصقلة وغيرهم، (ت.111 هـ) وقيل: (120 هـ)؛ ينظر: تاريخ الإسلام ت بشار (3/ 283)، برقم: (195).

[4] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (302/4).

[5] أخرجه الترمذيّ في سننه، كتاب الزهد: باب في التوكل على الله، (573/4)، برقم: (2344)، ثم قال: " هذا حديث حسن صحيح صحيح "؛ وابن ماجه في: سننه، كتاب الزهد: باب التوكل واليقين، (1394/2)، برقم: (4164).

9 ــ مسألة العزم على الفعل:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ ﴾ [الصافات: 102 ـ 105]، بيَّنَ الإمام أحمد بن نصر الداودي مسألةً أصوليةً هامَّةً، هي مسألة العزم على الفعل، ونَسْخها قَبْلَ العملِ بها، حيث يقول: "وإنْ نَسَخَ اللَّهُ آيةً قَبْلَ العَمَلِ بِهَا فإنَّما يَنْسَخُها بَعْدَ اعْتِقَادِ قَبُولِها، وهُوَ عَمَلٌ"، وهو يستند في بيان رأيه إلى قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦ ﴾ [البقرة: 106]،

وما ذكره الداودي يوافق فيه تمامًا ما يقرِّرُ أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعة على أَنَّ هذه القِصَّةَ، أيْ: قصة سيدنا إبراهيم مع ابنه إسماعيل حين رأى في المنام أن يذبحه، حيث نُسِخَ فيها العَزْمُ على الفِعْلِ، خلافًا للمعتزلة[1].

10 ــ تسبيح الملائكة لله تعالى واستغفارهم لعباد الله المؤمنين:

يورد الداودي في بيان معنى هذه الآية القرآنية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر:7]، تسبيح الملائكة لله تعالى واستغفارهم لعباد الله المؤمنين، بما ذكره نقلًا عن هارونَ بْنِ رياب، بقوله: "حملةُ العَرْش ثمانيةٌ، يَتَجاوبُونَ بصوْتٍ حَسَنٍ؛ فأرْبَعَةٌ يقولونَ: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ على حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ؛ وأَرْبَعَةٌ يَقُولُونَ: سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ على عَفْوِكَ بَعْدَ قُدْرَتِكَ "[2].

11 ــ بيان معنى التنقيب في البلاد:

يفسّر الداودي معنى التنقيب في البلاد، الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ ﴾[ق: 36] ـ نقلا عن أبي عبيدة ـ بأنّهم طافوا فيها وتباعدوا[3]؛ وهو تفسير صحيح، لا يتنافى مع القول بأنَّ معناه: ضربوا في الأرض، مثلما فسّرها الإمام البخاري[4]؛ إذ هو اختلاف تنوُّعٍ، لَا اختلاف تضادّ، فالمعنيان يتكاملان، ولا يتعارضان.

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (45/5).

[2] المصدر نفسه، (105/5).

[3] المصدر نفسه، (292/5).

[4] ينظر: صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: تفسير سورة (ق)، (458/8).

12 ــ بيان معنى تسبيح الله تعالى:

يذكر الإمام أحمدَ بن نصر الداوديّ في تفسيره معنى أمر الله تعالى لنبينا الكريم محمد ﷺ بالتسبيح بحمد الله عز وجل، الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩ ﴾ [الطور: 48 ـ 49]، حيث يورد ما نقله عن التابعي الشهير سعيد بن المسيِّب ـ رحمه الله ـ، بقوله: "وعن ابن المُسَيِّبِ قال: حَقٌّ على كلِّ مسلمٍ أنْ يقول حين يقومُ إلى الصلاة: سبحان اللَّهِ وبحمده، لقولِ اللَّه سبحانه لِنَبِيِّهِ: ﴿ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ ﴾"[1].

وهذا قول من بين أقوال أخرى وردت عن سلف الأمَّة في بيان معنى الكريمة، ومنها: ما ذكره أبو الأحوص بقوله: "هو التسبيح المعروف، يقول في كل قيام: سبحان اللَّهِ وبحمدِهِ"[2]؛ وقال عطاء بن أبي رباح: "المعنى: حين تقومُ من كُلِّ مجلس "[3]؛ وقال ابن زيد: "هي صلاة النوافل "[4]؛ وقال الضَّحَّاكُ[5]: "هي الصلوات المفروضة"؛ وَمَنْ قال: "هي النوافل"، جعلَ ﴿**أَدْبَارَ النُّجُومِ**﴾ رَكْعَتَيِ الفجر؛ وعلى هذا القول جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين، وقد رُوِيَ مرفوعاً، ومَنْ جعله التسبيحَ المعروفَ جعل قوله: ﴿**حِينَ تَقُومُ**﴾ مثالًا، أي: حين تقومُ وحينَ تَقْعُدُ، وفي كل تَصَرُّفِكَ؛ وحكى منذر عن الضَّحَّاكِ أَنَّ المعنى: حين تقومُ في الصلاة بعد تكبيرة الإحرام، فقل: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ، وبحمدك، وتبارك اسمك... »[6]، الحديث.

وعند التأمُّل في هذه الأقوال كلِّها، نجدها غير متعارضة إطلاقًا، بل هي داخلةٌ في قاعدة اختلاف التنوُّع، لا اختلاف التضادَّ، فلا إشكال بينها أَلْبَتَّة، بناء على قاعدة إذا أمكن الجمع بين الأقوال فهو أوْلَى من الترجيح.

---

[1] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (319/5).

[2] أورده ابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (194/5).

[3] ذكره أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، المتوفى سنة (327 هـ)، في: تفسيره، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، (1419 هـ)، (3317/10)، برقم: (18691)؛ ولفظه عنده بتمامه: " يقول: حِينَ تَقُومُ مِنْ كُلِّ مَجْلِسٍ، إِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ ازْدَدْتَ خَيْرًا، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ كَانَ هَذَا كَفَارَةً لَهُ "؛ وابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (194/5).

[4] ذكره ابن عطية في: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (194/5).

[5] ينظر: المصدر نفسه والصفحة.

[6] أخرجه أبو داود في: سننه، كتاب الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك وبحمدك، (265/1)، برقم: (775)؛ والترمذي في: سننه، كتاب الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، (9/2 ـ 10)، برقم: (242)؛ وابن ماجه في: سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: افتتاح الصلاة، (264/2)، برقم: (804)؛ والنسائي في: سننه، كتاب الافتتاح، باب: نوع آخر من الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة، (132/2)، برقم: (899).

13 ــ أرجى آية في القرآن الكريم:

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 6 ـ 8][1]؛ يورد الإمام أحمد بن نصر الداودي في هذه الآيات قِصَّة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مع الصحابي الجليل عبد الله بن أمّ مكتوم، حيث يذكر قوله: "بَيْنَمَا عُمَرُ بن الخَطَّابِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ليلًا، إذَا رَكْبٌ مُقْبِلِينَ مِن جهةٍ، فَقَالَ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: سَلْهُمْ مِنْ أَيْنَ أقبلوا؟، فقال له أحَدُهُم: من الفَجِّ العميقِ، نُرِيدُ البَلَدَ العَتِيقَ، فَأُخْبِرَ عَمَرُ بِذَلِكَ، فَقَالَ: أَوَقَعُوا في هذا؟، قُلْ لَهُمْ: فَمَا أَعْظَمُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟، وأَحْكَمُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟، وَأَعْدَلُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟، وأرجى آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟، وَأَخْوَفُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ؟، فَقَالَ لَهُ قَائِلُهُمْ: أَعْظَمُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ آيَةُ الكُرْسِيِّ، [البقرة: 255]، وَأَحْكَمُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: 90] وَأعْدَلُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: 6]، وأرجى آيَةٍ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠ ﴾ [النساء: 40]، وَأَخْوفُ آيةٍ في كِتَابِ اللَّه: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 123]، فأُخْبِرَ عمرَ بِذلكَ، فَقَالَ لَهُمْ عمرُ: أَفِيكُم ابنُ أُمِّ عَبْدٍ؟، فقالوا: نعم، وهو الَّذي كلَّمَك، قال عُمَرُ: كُنَيْفٌ مُلِيءَ عِلْمًا آثرْنَا بِهِ أَهْلَ القادسيَّة على أنفسنا. قال الداوديّ: "ومعْنَى (أعظم آية) يُرِيدُ: في الثواب"[2].

14 ــ سؤال الله تعالى عباده يوم القيامة على أنواع النعيم في الدنيا:

وإذا جئنا إلى تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾[التكاثر:8]، نرى الإمام الداوديُّ ينقل عن الحسنِ وقَتَادَة حقيقة سؤال الله تعالى عباده يوم القيامة على أنواع النعيم في الحياة الدنيا، بقولهما: "ثَلَاثٌ لا يَسْأَلُ اللَّهُ عَنْهُنَّ ابنَ آدمَ، ومَا عَدَاهُنَّ فيه الحسابُ والسؤال، إلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ: كِسْوَةٌ يُوَارِي بها سَوْءَتَه، وكِسْرَةٌ يَشُدَّ بِهَا صُلْبَهُ، وبَيْتٌ يُكِنُّه مِنَ الحَرِّ والبَرْد"[3].

---

[1] هذه الآيات الكريمة فيها إشارة إلى كيفية صدور الناس يوم القيامة أشتاتا، حيث يَنْصَرِفُونَ مِنْ موضعِ وُرُودِهم مُختلِفِي الأَحْوَالِ، فوُرُوْدُهُمْ كان بالموت، وصدورُهُمْ هو القيامُ إلَى البَعْثِ، والكُلُّ سائرٌ إلى العَرْضِ لِيَرَى عَمَلَهُ، ويَقِفُ عليه؛ وقيل: الورودُ هو ورودُ المَحْشَرِ، والصَّدَرُ أَشْتَاتًا هُو صَدَرُ قَوْمٍ إلى الجنةِ وقَوْمٍ إلى النَّارِ ليروا جَزَاء أعمالهم؛ ويروى أَنَّهُ « لَمَّا نَزَلَتْ هذه السُورَةُ بَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَ أُسْأَلُ عَنْ مثاقيل الذَّرّ؟، فقال له النبيُّ ـ صلَّى الله عليه وسلّم ـ: « يَا أبا بَكْرٍ، مَا رَأَيْتَهُ في الدُّنْيَا مِمَّا تَكْرَهُ فَبِمثاقِيلِ ذَرِّ الشَّرِّ، وَيَدَّخِرُ لَكَ اللَّهُ مَثَاقِيلَ ذَرِّ الخَيْرِ إِلَى الآخِرَةِ »؛ ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (617/5).

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (616/5 ـ 617).

[3] المصدر نفسه، (624/5).

وهذا المعنى يؤكِّدُه قوله ﷺ لأصحابه ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: «**والَّذي نفسي بيده، لتسألنّ عن نَعِيمِ هذا اليَوْمِ**»[1].

15 ـ الوسواس صنفان من الشياطين والناس:

يرى الإمام أحمد بن نصر الداودي أنَّ الوسوسة الواردة في قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ [الناس: 4 ـ 6] نوعان: مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ، حسبما ينقله عن ابن جريج، بقوله: «إنهما وَسْوَاسَانِ، فَوَسْوَاسٌ من الجِنَّة، ووَسْوَاسٌ مِنْ نَفْسِ الإنسان»[2].

وهذا الذي ذكره الإمام الداودي، يؤكِّدُهُ الحديث الصحيح: « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ، جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾، وَ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ ﴾، وَ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ »[3].

وبهذا يظهر، أنَّ كلَّ إنسانٍ مِمَّنْ يُوَسْوِسُ لغيره بِخُدْعَةٍ مِنَ الشَّرِّ، ويدعو إلى الباطل، فهو في ذلك كَالشَّيْطان[4]، يشبهه في فعله وصينعه القبيح، نعوذ بالله تعالى من الخذلان، ومن الضلال بعد الهدى؛ وصَلَّى اللَّهُ عَلى سيدنا ومولانا محمَّدٍ، وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

وإلى هنا يكون بحثي قد قَرُبَ على نهايته، ويَلِيهِ خاتِمَتُه المتضمِّنَة لنتائجه وتوصياته.

---

[1] أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، فيتحققه تحققا تاما، واستحباب الاجتماع على الطعام، (3/1609– 1610)، برقم: (2038/140)؛ وقد أورد البيهقي تفصيلَ القِصَّة الواردة عن الصحابي الجليل أبي الهيثم بن التيهان ـ رضي الله عنه ـ مع النبي ﷺ في: شعب الإيمان، (6/331)، برقم: (4284)، إذْ ذَبَحَ لَهُمْ أَبُو الهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ شَاةً، وَأَطْعَمَهُمْ خُبْزاً وَرُطَبًا، واسْتَعْذَبَ لَهُمْ مَاءً، وَعَنْ أبي هريرةَ في حديثِهِ في مسيرِ النبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ إلى بَيْتِ أبي الهَيْثَمِ، وأَكْلِهِم الرُّطَبَ وَاللَّحْمَ، وَشُرْبِهِم المَاءَ، وقوله ﷺ: " **هذا هُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ** "، وإنَّ ذَلِكَ كَبُرَ على أصحابِهِ، وإنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: « **إذا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هذا وَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا: باسم اللَّهِ، وعلى بَرَكَةِ اللَّهِ، وَإِذَا شَبِعْتُمْ، فَقُولُوا: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَشْبَعَنَا وَأَرْوَانَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَفْضَلَ، فَإِنَّ هذا كَفَافٌ بِذَاكَ** ».

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (5/642).

[3] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: فَضْلِ المُعَوِّذَاتِ، (6/190)، برقم: (5017)، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

[4] ا الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (5/642)، بتصرّف.

خاتمة البحث:

الشكر لله تعالى وحده، على توفيقه وإحسانه، وله الحمد في الأولى والآخرة، وعلى الدوام، أبد الآباد، فقد أكرمني بإتمام هذا البحث المفيد، المتعلِّق بجمع أقوالِ وآراءِ الإمام الداودي في تفسير كلامه الله تعالى، بعد تتبُّعِي لها في (تفسير الثعالبي)، الموسوم بـ (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، حيث أمكنني الوقوف على عدد من النتائج، التي أرى أنَّها من الأهمية بمكانٍ، وبَسْطُهَا يكونُ بالشكل الآتي، وهي:

أوَّلًا ــ نتائج البحث:

1 ــ تميزت حياة الإمام الداودي بالنشاط الدؤوب، منذ صغر سنِّه، حيث نشأ على حُبِّ العلم والعلماء، منتقلًا فيه إلى بعض ولايات الوطن الحبيب، فلا غرابة أن يشتهر ذكره، ويعلو شأنه بين الناس، العامة منهم والخاصَّة.

2 ــ كانت نشأة الإمام الداودي نشأة علمية خالصة، تلقَّى فيها مبادئ العلوم الشرعية على والديه، ثم شيوخه عصره؛ على خِلَافِ مَن نَفَى ذلك، بِنَاءً على مقولةٍ انتشرت في زمنه: (أَنَّهُ لا شيخَ له)، ومستحيلٌ على عالِمٍ مِثْلُهُ، فَسَّرَ كلامَ الله تعالى، وشرَحَ (الموطَّأ)، و(صحيح البخاري)، وغيرها من كتبه، أن يكون ذلك من فراغٍ.

3 ــ كثرة تلاميذه دلَّت قطعًا على قوَّة تأثِيرِه فيهم، فقد نَهَلُوا من أدَبِه وأخلاقه وعلمه، ما جعلهم من كبار العلماء بَعْدَ ذلك.

4 ــ تجلَّت سِعَة علمه وما أكرمه الله من صفات وخصائص وميزات، من خلال معرفتنا لبعض أهمِّ مراحل حياته الشخصية والعلمية، فضلًا عن مصنَّفاته وأقواله وآرائه الدالَّة على جُهْدِه العلميِّ في خدمة علوم الدين، خاصة منها تفسير كتاب الله تعالى.

5 ــ أظهرت أقواله وآراؤه التي وقفت عليها في تفسير القرآن الكريم، أنّه كان على منهجٍ صحيحٍ، دلَّت كُلُّها على سداد فكره، وصحة أقواله، ودقَّة فَهْمِه، واعتماده على ما يعرف في وقتنا المعاصر بـ(قواعد التفسير وأصوله)، مثل تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وغيرهم من علماء الإسلام، ومنها أيضا: الأخذ بـ(قاعدة التنوع، لا اختلاف التضادّ)، على اعتبار أنَّ بعض أقواله قد وردت أقوالٌ أخرَى في تفسير الآيات القرآنية نفسها التي تعرّض لها الإمام ـ رحمه الله ـ؛ والعلماء يُقَرِّرُونَ في هذا الشأن قاعدة: (الجمع أَوْلَى من الترجيح)، فإذا أمْكَنَ الجمعُ بها الأقوال والآراء، فبها ونِعْمَتْ، وإلَّا فَلَا يُصَارُ إلى الترجيح إلَّا إذا تعذَّر الجمعُ، وقد سبق معنا ما يؤكد كلامنا في النماذج التي بسطناها في البحث.

6 ــ كما تجلَّى لنا انتماؤه إلى مذهب الإمام مالك ـ رحمه الله ـ في الفقه، فقد اعتمده في عددٍ من نُقُولِه الواردة عنه.

7 ــ والأهَمُّ مِن هذا كلِّه، ظهرَ لَنَا صفاءُ عقيدَتِه، وقوَّة استشهاده على مسائلها، بما أكَّدَتْهُ آياتُ القرآن الكريم نفسه وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام وأقوال أئمة الإسلام الكبار، أمثال الإمام ابن العربي وغيره.

ثانيا ــ توصيات البحث:

ويمكنني حصرها في النقاط الآتية، وهي:

1 ــ ضرورة التنقيب عن مصنفاته في الزوايا المتارمية الأطراف في بلادنا لعلَّ الباحثين يقف على بعض من مصنفاته المفقودة إلى الآن.

2 ــ نشر الأعمال العلمية، خاصة منها الأبحاث الأكاديمية، التي تعنى بحياة الإمام ومراحله نشأته، واستخراج مناهجه ومسالكه في كتابة مصَّنفاته القيِّمَة، مثل: شرح الموطأ وصحيح البخاري.

3 ــ ضرورة اهتمام وسائل الإعلام عندنا بالجزائر، ومحاولة القيام بالتعريف بعلمائنا الأفاضل، الأحياء منهم والأموات، بهدف إبراز ما تملكه بلادنا من خزان حقيقي لعلماء الإسلام، الذين كان لهم الفضل الكبير في نشر العلم وخصال الخير والأدب بين الناس، داخل البلد وخارجه.

4 ــ الإكثار من الندوات العلمية والملتقيات الدولية والوطنية كلما سنحت الفرصة بذلك، بهدف إعلاء شأن بلدنا بين الأمم، وتذكيرهم بالجهد العظيم الذي بذله أسلافنا، لقتدي بهم الخلف في هذه السيرة الطيبة.

وإلى هنا يكون بحثي قد أتى على نهايته، والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلَّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا.

هذا ما يَسَرَّ اللهُ تعالى إعْدَادَهُ، وأرجو منه التوفيق والسداد والقبول، وأن يجعله عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وابتغاءَ رِضْوَانِه، والفوزَ بِجِنَانِه، رفقةَ نبيِّنا ورَسُولِنا وحَبِيبِنَا وسيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الفردوس الأعلى، مع وَالِدَي الكريمين، وسائر آبائي وأجدادي وأفراد عائلتي، وإلى آخرِ واحدٍ منهم فوقَ الأرض، آمين، آمين، آمين.

وكتبه العبد الضعيف، الراجي رحمة ربه ومولاه: **: الأستاذ الدكتور: عبد الرزاق بن عيسى بن محمد بن الحاج يحيى بن أحمد بن عبد الرحمن دحمون العاصمي الجزائري**، مساء يوم الثلاثاء (ربيع الثاني 1444 هـ)، الموافق لـ: (80 سبتمبر 2022م)، بعاصمة بلدنا الجزائر المحروسة بحفظ الله ورعايته، ولطفه وكرمه؛ والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

تمّ بحمد وتوفيقه، وحسن عونه وكرمه.

فهرس المصادر والمراجع:

ـ **(أحكام القرآن)**، لـ: القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، (ت.543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.3، (1424هـ ـ 2003م)، عدد الأجزاء: (4).

ـ **(التسهيل لعلوم التنزيل)**، لـ: أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن جزي الكلبي الغرناطي الأندلسي، (ت.741هـ)، تحقيق: د.عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1416هـ).

ـ **(الشفا بتعريف حقوق المصطفى)**، لـ: أبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ت.544هـ)، مُذَيَّلًا بالحاشية المسمَّاة: (مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء)، لـ: أحمد بن محمد بن محمد الشمني، (ت.873هـ)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، (1409هـ ـ 1988م)، عدد الأجزاء: (2).

ـ **(الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية)**، لـ: أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت.393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط.4، (1407هـ ـ 1987م)، عدد الأجزاء: (6).

ـ **(العاقبة في ذكر الموت)**، لـ: عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين بن سعيد إبراهيم الأزدي، الأندلسي الأشبيلي، المعروف بـ(ابن الخراط)، (ت581هـ)، تحقيق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط.1، (1406هـ ـ 1986م)، عدد الأجزاء: (1).

ـ **(الكشف والبيان عن تفسير القرآن)**، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت.427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1422 هـ ـ 2002م)، عدد الأجزاء: (10).

ـ **(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي الأندلسي، (ت.542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1422هـ).

ـ **(المعجم الكبير)**، لـ: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت.360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة ـ مصر، ط.2، عدد الأجزاء: (25).

ـ **(المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار)**، لـ: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، (ت.806هـ)، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1426هـ ـ 2005م)، عدد الأجزاء: (1).

ـ **(تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام)**، لـ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، (ت.748هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط.1، (2003م)، عدد الأجزاء: (15).

ـ **(تفسير الثوري)**، لـ: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، (ت.161هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.3، (1403هـ ـ 1983م).

ـ **(تفسير القرآن العظيم)** = **(تفسير ابن أبي حاتم)**، لـ: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر بن أبي حاتم التميمي الحنظلي الرازي، المتوفى سنة (327 هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، (1419 هـ).

ـ **(تفسير عبد الرزاق الصنعاني)**، لـ: أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت.211هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1419هـ)، عدد الأجزاء: (3).

ـ **(تفسير عبد الرزاق)**، لـ: أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت.211هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1419هـ)، عدد الأجزاء: (3).

ـ **(تفسير مجاهد)**، لـ: أبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي، (ت.104هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، القاهرة، مصر، ط.1، (1410هـ ـ 1989م)، عدد الأجزاء: (1).

ـ **(جامع البيان في تأويل القرآن)** = **(تفسير الطبري)**، لـ: أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، (ت.310 هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1420هـ ـ 2000م)، عدد الأجزاء: (24).

ـ **(جمهرة اللغة)**، لـ: أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت.321 هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1987م)، عدد الأجزاء: (3).

ـ **(شعب الإيمان)**، لـ: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حقَّقه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي ـ الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط.1، (1423هـ ـ 2003م)، عدد الأجزاء: (14) بالفهارس.

ـ **(صحيح البخاري)** = **(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وسُنَنِه وأيامه)**، لـ: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط.1، (1422 هـ)، عدد الأجزاء: (9).

ـ **(فهرسة ابن خير الإشبيلي)**، لـ: أبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة اللمتوني الأموي الإشبيلي، (ت.575هـ)، تحقيق: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط.1، (1419هـ) // (1998م)، عدد الأجزاء: (1).

ـ **(كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال)**، لـ: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي، (ت.975هـ)، تحقيق: بكري حياني / صفوة السقَّا، مؤسَّسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط.5، (1401هـ / 1981م). (246/3)، برقم: (6375).

ـ **(مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)**، لـ: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت.807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ـ مصر، (1414هـ ـ 1994م)، عدد الأجزاء: (10).

ـ **(مصنف ابن أبي شيبة)** = **(الكتاب المصنَّف في الأحاديث والآثار)**، لـ: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي(ت. 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط.1، (1409هـ)، عدد الأجزاء: (7).

ـ **(مفاتيح الغيب)** = **(التفسير الكبير)**، لـ: أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، خطيب الري، (ت.606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط.3، (1420هـ).